جامعة مولود معمري–تيزي وزو

مخبر الممارسات اللغوية

مجلة

الممارسات اللغوية

العدد السابع عشر(17)

2012

ISSN : 2170-0583

مخبر الممارسات اللغوية

جامعة مولود معمري – تيزي وزو

الجزائر

الهاتف: 00 14 41 026

الناسوخ: 00 14 41 026

البريد الإلكتروني: laboling@yahoo.fr

الهيكل الإداري للمجلة

ـــ المدير الشرفي: أ د ناصر الدين حناشي؛

ـــ مدير المختبر: أ د صالح بلعيد؛

ـــ رئيسة التحرير: الجوهر مودر؛

ـــ هيأة التحرير:

ميدني بن حويلي + ريش بوثلجة + فتيحة حدّاد + حياة خليفاتي + علجية أيت بوجمعة + عيني بطوش + علجية أوطالب.

ـــ الهيأة الاستشارية:

ـــ محمد العربي ولد خليفة: رئيس البرلمان الجزائري؛

ـــ أبو عمران الشيخ: رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في الجزائر؛

ـــ عبد الرحمان الحاج صالح: رئيس مجمع اللغة العربية الجزائري؛

ـــ محمود فهمي حجازي: رئيس جامعة نور مبارك في طشقند؛

ـــ محمود أحمد السيد: نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق؛

ـــ سالم شاكر: باحث في المازيغيات في inalco بفرنسا؛

ـــ وفاء كامل فايد: أستاذة اللغويات في جامعة القاهرة؛

ـــ علي القاسمي: خبير في الأسيسكو وباحث في المصطلحات والمعاجم؛

ـــ عبد السلام المسدي: أستاذ كرسي في جامعة تونس؛

- Valérie Orlando, Professor,University of Maryland, U.S.A.

- Kathryn Lafever,Professor, University of Miami,U.S.A.

- Zerar Sabrina, Maitre de conférences, University of Tizi-ouzou, Algiers.

ـــ المدير الفنّي: أ د صلاح يوسف عبد القادر.

فهـــرس الـــــعدد

	عنوان المقال واسم صاحبه	الصفحة
1	مقدمة العدد	07
2	السياسة اللغوية في الجزائر والتنمية البشرية أ.د/ مبارك تريكي	09
3	تحديد المفاهيم ذات العلاقة بأخطاء لغة الصحافة أ/رادية مرجان	61
4	من جماليات التكرار في القرآن الكريم أ/ محمد رزي	79
5	أثر السّياق في تحديد الفروق اللّغوية بين ألفاظ العربيّة ــ ألفاظ القرآن الكريم أنموذجًا ــ أ/ سلطاني نعمان	95
6	أهميّة اللّغة ومكانة الثّروة اللّفظية منها أ/ نصيرة زيد المال	107
7	لغة الطّفل: بين شروط الاكتساب وضرورة الممارسة أ/ محمّد بن محمد حرّاث	119
8	دراسة العلاقة بين ضعف الوعي الفونولوجي وعسر القراءة لدي الطفل المتمدرس مستوى الثالثة ابتدائي من 8 إلى 10 سنوات أ/ لعجال ياسين	131
9	اللّغة بين البلاغية والإبلاغية في الفكر الاعتزالي أ/ صفية مكناسي	153
10	المنهج التكاملي بين الرفض والقبول أ/ سليم سعدلي	177
11	مقاربة التأثير الأدبي في الدراسات المقارنة بحث في المصطلح والمنهج. أ/ صليحة بردي	201

12	سيكولوجية البخل عند الجاحظ د/ محمد رضا خضري	215
13	تداخل أشكال التعبير الشّعبي في أدب "طاوس عمروش" حكاية "الصندوق" الواردة في كتاب الحبّة السّحرية" أنموذجاً – دراسة تحليلية– أ/ سلوى طبركان	235
14	بين نمطية المطالع وطبيعة المقاطع في شعر ابن الأبار القضاعي أ/ شاكر لقمان	241
15	Evaluation des compétences morpho-lexicales en contexte universitaire Dr/ DJAOUDI Hayat	01
16	Evaluer le langage de l'enfant DJEDID Ratiba	11
17	قواعد النشر في المجلة	

كلمـــــة العـــــدد

تقدّم مجلتنا لقرائها الأوفياء في عددها السابع عشر مجموعة من مقالات ودراسات في مختلف أركان اهتماماتها. وكما سيلاحظ القرّاء إضافة ركن يهتم بالأدب الشعبي، وهذا نزولا عند طلب فرقة الأدب الشعبي التي انضمت مؤخرا إلى المخبر.

وإنّنا نسعى دائماً أن نكون في خدمة القارئ؛ باعتبار المخبر مؤسّسة عمومية يهمّها خدمة الشأن العام، وتقديم الخدمة العمومية في صورتها المطلوبة.

وبهذا العدد نبارك للقرّاء سنة هجرية وميلادية ومازيغية، ونرجو تعاونكم الدائم في خدمة المسألة اللغوية من بابها العريض، وهذا بتضافر جهودكم في النقد والمشورة والإسهام في ترويج المجلة وتغذيتها بالمقالات التي تعلي من قيمتها العلمية.

وإنّ المجلة لم تنل الموقع العالمي إلاّ بفضل تلك الجهود التي يبذلها كل مسهم في الترقية العلمية للمجلة.

ودمتم في خدمة العلم.

عن رئيسة التحرير

أ/ الجوهر مودر

السياسة اللغوية في الجزائر والتنمية البشرية

أ.د/ مبارك تريكي، ج/ الجزائر

ملخص: تسعى هذه المقالة إلى الكشف عن السياسة اللغوية المتبعة في الجزائر وعلاقة اللغة بالتنمية البشرية (اقتصادية واجتماعية وثقافية وفكرية وحضارية) وذلك من خلال التوقف عند هذه النقاط وغيرها، إذ سنتوقّف عند مكانة اللغة في المجتمعات البشرية، وكذا دورها في التنمية، ووظائفها المتفاعلة اجتماعيا وفكريا وثقافيا وحضاريا، وصولا إلى الكشف عن عجز السياسة اللغوية المتبعة في بلادنا عن تحقيق تنمية بشرية شاملة كاملة، إذ يلاحظ المتتبع للحركية اللغوية في المجتمع الجزائري، من خلال رصد أفعاله (منجزاته) اللغوية التي تتحقق في الواقع أثناء ممارسته لشؤون حياته اليومية أن هناك ضعفا لغويا تواصليا رهيبا، وتخلفا بلاغيا وتبليغيا كبيرين، حتى إنّه ليمكننا وصف مجتمعنا بالمعوّق اتصاليا وبلاغيا وتبليغيا أي بالمعوق لغويا وهو وصف وإن يبدو للقارئ أنه قاس إلا أننا نصر على إطلاقه على واقعنا اللغوي، وإذا سمحنا لأنفسنا وصف هذه السلوكات اللغوية بالمعوقة فإنه يمكننا رصد هذه الإعاقات على مستويات عدة: فهناك –إعاقة تبليغية اتصالية– إعاقة فكرية –إعاقة اجتماعية –إعاقة إبداعية–إعاقة اقتصادية –إعاقة حضارية، وهي المستويات التي نترك الفرصة لصفحات المقالة لتكشف عنها إن مكنتني مجلتكم الموقرة من مخاطبة القارئ عبر صفحاتها الرقمية.

تمهيد: قبل البدء في تنفيذ مقاربتنا هذه المتعلقة باللغة، وعلاقتها بالتنمية البشرية في الجزائر رأينا أنه من المفيد أن نبدأها بتقديم تعريف موجز للغة،فما هي اللغةla) (langue عند العلماء المهتمين بها عموما واللسانيين خصوصا؟ من يرم الأبحاث والدراسات التي لامست اللغة في جانب من جوانبها يجدها تقدم تعريفات عديدة للغة حسب الزاوية التي ينظر كل واحد منها إلى اللغة، ولعلّ أبرز تعريف وجدناه عند علمائنا القدماء هو تعريف ابن جني الذي يعرف فيه اللغة بأنّها (أصوات يعبر

بها كلّ قوم عن أغراضهم)1 وهو التعريف القديم الحديث، إذ لم يستطع الدرس اللساني الحديث –في نظرنا– تجاوزه حتى ولو وجدناه يقدم تعريفات عدة للغة، كأن يعرفها بأنها (منظومة من العلامات التي تعبر عن فكر ما)2 أو (أنّها أداة تواصل وتبليغ)3 أو أنّ اللغة (هي علم الثقافة إلاناسية التي يتواصل بها الناس لتحقيق حاجاتهم)4 أو أنّها (رمز واع دال إلى معنى محدد بذاته)5 أو اللغة (نظام واع تحكمه جملة الوظائف الدالة يقوم على ممارسة مختلف أشكال الاتّصال التفاهمي والمعرفي والثقافي)6 فكيفما كانت التعريفات للغة فإنّها لا تخرج في نظرنا عن أن تصف اللغة بأنها سر الحياة البشرية حتى أنه ليمكننا القول إنّ الحياة الإنسانية (نص أو خطاب يحتوي دلالات ومعاني)7 بل اللغة هي (ما يميّز الكائن البشري عن الكوائن الأخرى)8 ومن هنا لا نستغرب أن تعتبر اللغة سر الحضارة الإنسانية9 إذ لا نتصوّر حضارة من دون لغة يتفتق من خلالها الفكر البشري ويتبلور، وصدق من ثم من وصفها بأنّها (تعبير واع عن المعنى الحقيقي لوجود الإنسان، وإفصاح عن خصائص القيم الجمالية المستوطنة في خواص الوجود والقابلة للارتقاء)10 وصدق أيضا من قال (إنّ الفكر الإنساني مكون من كم لغوي يسمح له بناء نظام معرفي عظيم)11 فاللغة إذا هي عبارة عن نظام واع تصنع عبره الحضارة، ويرتقي به الفكر، فإذا كانت هذه هي المفاهيم التي يفهم عبرها الباحثون اللغة، وهي مفاهيم تجعل اللغة أسمى ميزة يتميز بها الكائن البشري، فهي ميزة ترفع من شأنها ومكانتها، فإنّ هذا الأمر يقودنا حتما إلى الحديث عن مكانة اللغة في المجتمعات البشرية، وهو ما نفعله الآن.

مكانة اللغة في المجتمعات البشرية: إذا كانت اللغة – كما ذكرنا سابقا– سر الحضارة الإنسانية، فإن لغتنا العربية – وطبقا لهذا الوصف– تكون سرّ حضارتنا العربية الإسلامية، إذ يقر الباحثون أنّ حضارتنا تلقب بحضارة النص، حتى إنّه ليمكننا اختزال حضارتنا في قرآننا، بل وفي كلمة واحدة منه هي (اقرأ) إذ من هنا ومن الفعل (اقرأ) تبرز مكانة اللغة في المجتمعات البشرية، ومنه مجتمعنا العربي

الإسلامي، ومن هنا وجدنا الأمم تكشف سرّ وجودها الحضاري، بل سرّ وجودها البشري، أليس الفرق بين البشر وغيرهم من المخلوقات الأخرى هو اللغة؟ اللغة هي السمة الفارقة بين الإنسان وعالم الكائنات الحيوانية الأخرى، ومن هنا عرف الإنسان بأنّه حيوان ناطق، فالميزة التي تميز الإنسان في هذا التعريف الفلسفي عن الكائن الحيواني هي النطق، ويقصد بالنطق هنا النطق الوظيفي الاتّصالي الايصالي التبليغي، هذا النطق الذي يصنع الحضارة التي تعجز عن صنعها الكائنات الحيوانية الأخرى غير الناطقة، من هنا تبرز مكانة اللغة في المجتمعات البشرية، إذ بها تتلى الكتب السماوية المقدسة، وبها تدون أسمى آيات الوجود الإنساني، بها يتمّ التخاطب والتواصل، وبها تبرم العهود والمواثيق، والمعاهدات والاتفاقات، بها توصف العلوم وتنظم وتبلغ، بل بها تصاغ النظريات العلمية الراقية في شتى العلوم والمعارف، بها اعتبرت الإنسانية إنسانية والبشرية بشرية، ولأجل هذه الوظائف الجليلة للغة اعتبرها القرآن الكريم آية، إذ قال في محكم تنزيله ﴿ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين﴾12 فاللغة – أية لغة– تعتبرفي قرآننا آية من آيات الله يجب احترامها، والاهتداء بها، ومن ثمّ تعلمها، أو اكتسابها ونرى أن تعلم أية لغة من اللغات البشرية، هو اكتساب لتلك الآية (الأمارة) واهتداء بها، أو اهتداء بما تدل عليه من أمارات، وهذا احترام لها وأي نكران للغة من اللغات –في نظرنا– هو نكران لتلك الآية واحتقار لها، أي احتقار لآية من آيات الله، كما أنّ إبعاد أية لغة من اللغات هو إبعاد لآية من آيات الله،ومن هنا عظمت اللغة في نفوس الأمم فوجدنا، كل أمة من الأمم إلا وتعظم لغتها إلى درجة الإجلال، ووجدنا من ثم الأمم العظيمة تعظم لغتها وتقدسها، لأنّها أمارة على وجودها،وعلامة تميزها عن سائر الأمم، ووجدنا الأمم تسمى لغويا، فيقال الأمة العربية نسبة إلى لغتها، والأمة الإنكليزية، والأمّة الفرنسية.. ومن أجل هذا عرف فيخته الألماني الأمة الألمانية بأنها جميع الذين يتكلمون اللغة الألمانية، وعدها أساس القومية إذ يقول: (إنّ الذين يتكلمون بلغة

واحدة يكونون كلا موحدا ربطته الطبيعة بروابط متينة وإن كانت غير مرئيـــة)13 ويعتبر فيخته اللغة القومية بمنزلة الوعاء الذي تتشكل به وتحفظ فيه فيقول(إنّ لغة الآباء والأجداد مخزن لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلســفة والدين، ولكن قلب الشعب ينبض في لغته وروحه يكمن في لغة الآباء والأجداد)14 ومن هنا أيضا رأى الباحثون أن اللغة إحدى المقومات الأساسية للأمة –أية أمـــة– بل هي تعبير واع عن المعنى الحقيقي لوجود الأمة– أية أمة– وجودها مرهـــون بلغتها، يقول منير الحافظ في هذا الشأن (كانت معظم الشعوب والأمم ومـــا فتئـــت تتخذ من الوعي اللغوي ابرز مقومات وجودها الروحي والمعرفي)15 فهذه الرؤية هي رؤية كل الباحثين في العالم كما يعبر عن ذلك منير الحافظ نفسه إذ يقـــول(إنّ النهوض العقلاني يتطلّب و عيا لغويا متفتحا على حقائق ذاتية فبقـــدر مـــا ينمـــو الوعي اللغوي الخلاق تكبر الحضارة المعقلنة)16 ولعلّ هذا هو الذي دفع بـــبعض الباحثين إلى القول (بأنّ كلّ أمّة تفتقد بناها اللغوية تظل أمة عضوية جسدانية مثلها مثل الكوائن القطيعية البهيمية ومن ليس له بعد لغوي ليس له بعد معرفي وبالتـــالي ليس له بعد ذاتي وتسوقه دلالات غريزية وعفوية... أما الإنسان العقلاني فهو كائن لغوي بطبعه)17 وهكذا تتعدد الأقوال من العلماء والباحثين في تعظيم اللغة، والرفع من شأنها إلى درجة تقديسها حتى عرف الإنسان بأنّه كائن لغوي، وحتى اعتبـــرت الأمم اللغة مكوّنا هوياتيا تتمايز به عن غيرها من الأمم الأخرى، فما يميز أمة عن أخرى هو لغتها، ومن هنا فإذا استعرنا لغة أمة أخرى نكون قد فقدنا شخصيتنا، أو فقدنا أحد مميزاتنا التي نتميز بها عن غيرنا، ثم أن الباحثين يرون أن اللغة –أيـــة لغة– (تملك رؤية في فهم الحياة وتنتج قيما معيارية في التعاملات التي تفصح عن القيم الجمالية التي تؤسس عليها الحقائق)18 فإذا استعرنا لغة أمة أخـــرى، نكـــون حتما قد استعرنا قيمها ومعاييرها، ونظرتها للحياة وللأشياء وهو أمر خطير يهـــدد كياننا، ومن هنا اعتبرت اللغة وظيفة معرفية واعية تعكس حالة الوجود وفق انساق من المفاهيم، بل اعتبرت اللغة المؤسسة العامة لنظام فكرنا فهي (منظمة تتحكم في

مقولاتنا وتعابيرنا وهواجسنا وإلهاماتنا)19 هي إذا معرفة كيفية التطابق بين الهوية وموضوعها الخارجي... إنّها وعي ايجابي20 وبفضل الحياة اللغوية حافظت الأمم على خصائصها الحضارية21 هذه هي مكانة اللغة في كافة المجتمعات البشرية المتحضرة، وغير المتحضرة، أو هي المكانة التي يجب أن تكون عليها اللغة، وإن وجدنا بعض الأمم لم تعتن بلغتها لأسباب تتعلق بصيرورتها التاريخية، فإنّنا نجد هذا الأمر محصورا عند الأمم غير المتحضرة، أي الأمم التي لم تبلغ شأوا في الرقي الحضاري، بسبب ما تعرضت له من استلاب، وتدمير لمقوماتها وكيانها، وهي عادة الأمم التي خضعت للاستعمار، إذ تمكّن منها المستعمر فأوحى إليها أن لغتها ليست مؤهّلة لتكون لغة علم ومعرفة، فأفهمها أنها لكي تنهض عليها أن تتخلى عنها كحال الجزائر، وكلّ الدول العربية التي خضعت للاستعمار الفرنسي إذ استطاع هذا الاستعمار أن يجعل بعضا من أبنائنا يفضلون لغته على اللغة الوطنية، فهذه الفئة من أبنائنا لم تع اللغة، ولم تعِ دورها الخطير، ومن ثمّ لم تكن للغة مكانة عندها ففضلت لغة الآخر على لغتها القومية، بفعل العامل اللغوي الذي تلقت تعليمها به وصنعت على عينه، وهو واقع يؤكد صحة طرحنا وسلامة نهجنا في ضرورة الاعتناء بلغتنا الوطنية، ومنه نستنتج وبوضوح مدى سرّ اهتمام الأمم بلغاتها القومية واعتزازها بها حتى قال بعضهم (من فقد لغته فقد إيمانه)22 والحقيقة التي يجب أن نشير إليها هنا، هي أنّ الاهتمام باللغات القومية، هو ديدن الأمم الحية التي تشعر بشخصيتها وتعتز بكيانها القومي، لذلك مافتئت هذه الأمم تسعى جاهدة لنشر لغاتها بمختلف الوسائل، والسبل، لأنّها تدرك كلّ الإدراك، وتؤمن الإيمان كلّه أنّ لغاتها هي عنوان وجودها23.

السياسة اللغوية المتبعة في الجزائر: يقول الباحث فلوريان كولماس (إنّ صياغة سياسة لغوية رشيدة في دولة متعددة اللغة هي في ذاتها مسالة اقتصادية ويجب أن تكون لها أسبقية عظيمة مثلها مثل المسائل الاقتصادية الأخرى)24 وهو قول نفهم منه أن رسم سياسة لغوية حكيمة في بلد من البلدان، هو من صميم السياسة

الاقتصادية للبلد–أي بلد– لما له من أثر بارز على تنمية الوطن، والمواطنين اقتصاديا واجتماعيا، وذلك راجع لأسباب عدة منها التحكم المهاري الذي يجب أن يمتلكه المتعلمون والذي يمكنهم من الحصول على الوظائف الاقتصادية، والاجتماعية في مجتمعاتهم، ومن ثم النهوض باقتصاديات بلدانهم،هذه المهارات التي يخفق الكثير من الناس المتعلمين في تحصيلها، أو بتعبير آخر تخفق السياسة اللغوية المتبعة في تبليغ المهارات اللغوية للمتعلمين، إنّ أسباب هذه الإخفاقات لا تعود إلى طرائق التعليم ومناهجه أو إلى افتقار النصوص بقدر ما تعود إلى السياسة اللغوية المتبعة في البلد، وهو ما نراه ينطبق على السياسة اللغوية المتبعة في بلدنا وفي بعض البلدان العربية، إذ نعتقد أن منظومتنا التربوية لا ينقصها طرائق التعليم الناجعة، ولا المناهج التربوية النافعة، ولا المعلم الكفء، إذ هي بذلت جهودا محمودة في هذا الشأن، فنحن نقر بنجاعة الطرائق المتبعة، ونقر بنجاعة النصوص وثرائها، ونقر بكفاءة المعلم،ونرجع الضعف المهاري الملاحظ إلى السياسة اللغوية العرجاء المتبعة في الجزائر، إنّ السياسة اللغوية غير المتجانسة في بلدنا هي وراء الضعف اللغوي المهاري في مجتمعنا، ولو توقفنا وقفة تأمل في هذه السياسة اللغوية فإننا واجدون أنها سياسة غير حكيمة وغير واعية، سياسة تفتقر الى ما ينصّ عليه الباحثون في جل دول العالم، كما تفتقر الى ما ترسمه، وتنفذه الدول التي لها شأن في هذاالعالم فإذا كان الباحثون ينصون على25 أنّه من واجب الدول أن تحرص على تحقيق تعايش بين اللغات المتداولة فوق ترابها، وتعمل على تماهي ظاهرة اللاتجانس في المجتمع وكذا زيادة الوعي بتشابك العلاقات الدولية، لهذا تتوخى اليوم الكثير من الدول إيجاد حل لهذه المشاكل، عن طريق تخطيط لغوي واع ومحكم، يشمل هذا التخطيط صياغة وتنفيذ إجراءات رسمية تنظم استعمال اللغات، وتنويعاتها المختلفة داخل البلد الواحد، ويشمل هذا التخطيط عندهم 26:

1- وضعيات لغات الأقليات
2- دورالأكاديميات والمعاجم اللغوية في الحفاظ على معايير اللغة السليمة
3- تأثير وسائل الإعلام على الاستعمال اللغوي
4- جدوى التجديد في القواعد الإملائية
5- تجنب استعمال التعابير الجنسية المعيبة
6- تحديث اللغة الدينية
7- ضرورة وجود لغة واضحة ومفهومة
8- الحفاظ على مستوى شفاهي وكتابي مقبول في المدارس

هذه هي بعض الإجراءات التي تتبعها السياسة اللغوية، أو التخطيط اللغوي في جميع الدول، وهي إجراءات، أو مخططات تهدف فيما تهدف إلى النهوض بالأمة لغويا، ومن ثم حضاريا، وفكريا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، على أنّ الذي يتولى أمر التخطيط اللغوي وتنفيذه، هو السلطة السياسية في البلد، من وزارات وأكاديميات وجمعيات أهلية وكذا الأفراد، وتتضمن إجراءات سياسية، وقانونية إلى جانب نشاطات غير رسمية، أو حتى غير قانونية، إذا شعر الأفراد، أو الجمعيات أن التخطيط اللغوي الذي يفترض أن تقوم به السلطة السياسية فيه تقصير، أو لا يلبّي ولا يشبع حاجات المواطنين اللغوية. هذا ويرى الباحثون أنّ الأبحاث المنجزة في مجال التخطيط اللغوي قد فتحت آفاقا جديدة لفهم تطور اللغة، إذ ينظر العديد من اللسانيين إلى تطور اللغة باعتباره ظاهرة طبيعية، تنتجها قوى مجتمعية ولغوية مؤثرة27، كما يلاحظ الدارسون أنّ هناك نوعين من التخطيط اللغوي، هما التخطيط اللغوي الصميمي، ويمسّ بنية اللغة وتخطيط الوضعية، ويتعلّق بالاستعمال اللغوي فالصميمي يحدث تغييرات في بنية اللغة، ويعدل القواعد النحوية والإملائية، ويشمل عندهم مجموعة من النقاط نوجزها كما يلي على لسان المترجمين وهي28:

1- اختيار اللغة النموذج، يقول الباحث في البلدان المتعدّدة اللغات في الغالب اختيار لغة واحدة كلغة رئيسية لأغراض إدارية أو تعليمية

2- عملية الضبط: عندما يتم انتقاء لغة محلية ما فمن اللازم الاستمرار في تطويرها، حتى تستجيب لوسيلة التواصل، تواصل داخلي، وتواصل خارجي

3- عملية التحديث: أي تحديث الرصيد اللغوي

4- مرحلة التعميم، يلزم الآن تعميم اللغة التي تم اختيارها كلغة معتمدة

5- السياسة التعليمية: وتتضح السياسة اللغوية لبلد ما، من خلال الكيفية التي تؤطر بها التربية اللغوية الناشئة.

وقد علق المترجمان على هذه الإجراءات بقولهما (في وقتنا الحاضر تنتهج الحكومات بشكل عام سياسة لغوية هي بالأحرى متفتحة)29، ونحن نقول بدورنا إذا كانت هذه هي الخطوات، أو الإجراءات التي ترسمها السلطة الوطنية، وكذا الهيئات والجمعيات الوطنية حيال اللغة الوطنية، في البلدان الاخرى، فإننا نجد الوضع عندنا غير سوي، إذ السياسة اللغوية الوطنية في الجزائر يمكن وصفها بالسياسة القاصرة إذ لم تفلح هذه السياسة في النهوض بالإنسان الجزائري لغويا فيلاحظ على هذه السياسة المتبعة أنها لم تصل في تخطيطها إلى مرحلة التعميم التي ينص عليها الباحثون، إذ يقر الباحثون أنه إذا تبنت السلطة الوطنية سياسة لغوية،واختارت لغة وطنية، يجب أن تعمم هذه اللغة30 وهو ما لم يحدث عندنا في الجزائر، إذ لم يتم تعميم استعمال اللغة العربية، على الرغم من أنّ الدولة تنص في جميع دساتيرها التي صدرت منذ الاستقلال والى يومنا هذا على أنها اللغة الرسمية للدولة الجزائرية وعلى الرغم من أنّها اعتمدتها لغة التربية والتعليم، إلا أنّنا نلاحظ أنها لم تعمم على التعليم الجامعي الذي يتم فيه تدريس العلوم الطبية والصيدلية،وجميع العلوم التقنية بلغة مستعمرنا بالأمس، فهذا دليل واضح على عدم وجود سياسة وطنية لغوية ناجعة، إنّ مجتمعنا الجزائري وعلى ضوء ما هو واقع يمكن وسمه بأنّه مجتمع متعدد اللغات، وإذا كان الباحثون يحددون مفهوم

الازدواجية اللغوية انطلاقا من مجموعة من المقاييس31 أهمها الانتماء الجنيتيكي للغتين، والتوزيع التكاملي لوظائفهما، بحيث تكون إحداهما في وضعية رفيعة والأخرى في وضعية وضيعة فإنّنا نجد هذا الوصف ينطبق علينا تماما وعلى لغتنا العربية، ولغتنا الامازيغية أيضا، إذ تقع العربية في وضعية وضيعة مقارنة باللغة الفرنسية، كما تقع الامازيغية في مرتبة وضيعة، مقارنة بالعربية أو الفرنسية، وهو وضع غير مقبول، فلا يمكن القبول بوضع متدن للغتنا العربية أمام لغة دخيلة على مجتمعنا، خاصة أن هذه اللغة الدخيلة لها تاريخ مر مع شعبنا، إذ لم يكن ارتباطه بها عن رغبة علمية، أو دبلوماسية أو حاجة اقتصادية، وإنما كان الارتباط بها مفروضا من قبل الاستعمار إذا القبول بالفرنسية في الجزائر، ووضعها في هذه المكانة الرفيعة وضع غير طبيعي، فهو وضع شاذ نشاز أقل ما يقال عنه أنه تحقيق لرغبة استعمارية، وتمكين لحلم استعماري، عجز الاستعمار نفسه عن تحقيقه طيلة وجوده في الجزائر، فكيف نمكنه من هذا الحلم بعد إخراجه من أرضنا؟ كيف ننزل عند رغبة المستعمر؟ نحن نرى أن كل تحقيق لحلم استعماري في الجزائر المستقلة هو خيانة للشهداء وانحراف عن مبادئ ثورة نوفمبر، وهو يعبّر عن توطن فكرة القابلية للاستعمار في مجتمعنا من وجهة نظرنا، ومن ثمّ يجب العمل على تصحيح هذا الوضع غير السوي الذي تتواجد عليه السياسة اللغوية في الجزائر، هذا وإذا جئنا نبحث عن الأسباب التي تجعل لغة ما تكتسب وضعية معينة فاننا نجدها عند الباحثين32 متمثلة في السلطة والنفوذ اللذين ينتج عنهما تداخل ازدواجي لمجموعة من اللغات التي تدخل في صراع تنافسي وهيمني، كما هو ملاحظ بين العربية والفرنسية من جهة والعربية والدارجة من جهة ثانية، والدارجة والامازيغية من جهة ثالثة، وهو الصراع الذي نجم عنه تبوء الفرنسية مكانة مرموقة في المجتمع الجزائري مكانة جعلت أتباعها يحظون بالمكانة نفسها، ودحرجت العربية وأتباعها إلى مكانة اجتماعية واقتصادية متدنية، الأمر الذي جعل الجزائريين يحتقرون لغتهم،ويفضلون اللغة الدارجة للتواصل، إنّ اللغة العربية وعلى الرغم من أنّها لغة

مبعدة من المجالات العلمية، لا يمكن وصفها بالوضيعة من الوجهة اللسانية، والدينية إذ تتساوى اللغات عند اللسانيين في الكفاءات الوظيفية، إلا أنّ الواقع جعلها في الجزائر في مرتبة وضيعة، إذ يصطدم الإنسان حينما يتأمّل القطاع الاقتصادي بغياب كلي للغة العربية فهي منعدمة فيه تماما، فلقد تركته إلى لغة أخرى تلعب فيه وحدها الأمر الذي جعلنا نجزم القول بأنّ اللغة الفرنسية في الجزائر لها وضعية خاصة،جعلت فرنسا في آخر دراسة لها تصنف بلدنا ثالث دولة فرنكوفونية، وإن كنا نحن لا نقر بهذه الدراسة ومع ذلك فنحن نرى أنّ هذه اللغة تحتل المكانة الأولى فهي لغة الاقتصاد، والامتياز الاجتماعي، بها تتكون الإطارات الاقتصادية ذات الكفاءة العالية، بها يتكون المهندسون، والأطباء، والصيادلة ومديري الشركات الوطنية الكبرى والبنوك وكافة الأطر الإدارية التي تسند إليها المناصب السامية، إذا فهي لغة النّخبة المديرة لدواليب الاقتصاد الوطني، ولغة السلطة والاقتصاد، فمن أين اكتسبت اللغة الفرنسية هذه المكانة؟ لا يشكّ أحد أنّها اكتسبتها من الرعاية الكاملة التي تحظى بها هذه اللغة من الصفوة المتحكمة في مصدر القرار، والتي حرصت على وجودها ابتداء من التعليم الابتدائي إلى الجامعي، بل حرصت على تعزيز وجودها في المرحلة الجامعية، بتفرّدها بالتخصصات العلمية البحتة، ومن ثم فإذا رأينا بعض الباحثين المغاربة يرون أن للفرنسية مكانة مرموقة في المغرب، فإننا نرى أن مكانتها في الجزائر أرفع، مقارنة باللغة العربية،حتى ليمكنني القول إن المواطن الجزائري لا يستطيع–مهما أبدع وابتكر وحصل على أعلى الشهادات العلمية– أن يحظى بتولي المسؤولية السامية في بلده ما لم يكن ملما باللغة الفرنسة ولقد صرح رئيس الحكومة الأسبق المرحوم قاصدي مرباح في ثمانينيات القرن الماضي حين كلّف بتشكيل حكومته آنذاك من قبل فخامة الرئيس الشاذلي بن جديد أنّه أبعد شخصية وطنية من طاقمه الحكومي، لعدم إتقانها اللغة الفرنسية، فهل بعد هذا يستطيع أحد أن يجادل في رفعة الفرنسة، ووضاعة العربية في الجزائر؟ وهل تستطيع هذه الشخصية المبعدة أن

تشعر بحلاوة الاستقلال؟ ثم إنّ اللسانيين يـــرون أنّ وضـــعية اللغـــة ووظائفهـــا السوسيولوجية هي التي تحدّد قيمتها في السوق اللسانية وحظها من الاستفادة مـــن السلطة المادية، فهي تكتسب هذه القيمة من خلال دورها كأداة للانتفاع الاجتماعي وتستمد قوتها من المكانة السوسيوثقافية للناطقين بها والذين يعملون على تكريسها وتخصيصها بوظائف متعددة، تستجيب لمصالحهم الاجتماعية والاقتصادية، يقـــول الأستاذ الحاج عبد الرحمن صالح رئيس المجمع الجزائري للغة العربية (اللغة ليس لها معنى إذا لم تستغل في الحياة الاقتصادية والعلمية والاجتماعية33. ومعلـــوم أن هذا شيء لم يحدث للعربية فكيف نقنع الناس بتعلم لغة غير نافعة؟

اللغة والتنمية البشرية: لا ينكر أحد من الباحثين أن للغة –أية لغة– بشـــرط أن تكون لغة معتمدة من قبل الدولة كلغة اتصال واقتصاد، واجتماع تـــأثيرا واضـــحا على التنمية الاجتماعية، والاقتصادية، والفكرية للأفراد والجماعات، ولســـنا فـــي حاجة إلى التدليل على ذلك، إذ ذكرنا في بداية هذا البحث أنّ الوعي اللغوي يمثـــل قمة الحضارة الإنسانية، ومن هنا فالعلاقة بين اللغـــة باعتبارهـــا الناظمـــة للفكـــر والاقتصاد، والاتصال المفتقة للإبداع في شتى المجالات شيء مؤكد، وهو الأمـــر الذي نعمل هنا على تبيينه من خلال العناوين التالية:

أولا: اللغة والتنمية الاقتصادية: من السهل جدا البرهنة علـــى أنّ للغـــة تـــأثيرا إيجابيا اقتصاديا على من يمتلكها، بشرط أن تكون اللغة الممتلكة هي لغة الاقتصاد في ذلك البلد الذي يعرض الوظائف الاقتصادية، غير أنّه لا يجـــب أن يفهـــم مـــن كلامنا هذا أن إتقان لغة ما يعني الزيادة المباشرة في دخل الفرد، أي بنمو مهارتـــه اللغوية تنمو ثروته الاقتصادية، لا نعني هذا أبدا ولا يقول بهذا أحد وإنّمـــا يمكـــن القول إنّ اللغة تنمي الإنسان اقتصاديا مثلا في حال الترجمة؛ فـــالمترجم يتقاضـــى أجرا على ما يترجمه أليس هذا تنمية اقتصادية للبشر؟ إنّ الشركات العالمية وفـــي مختلف دول العالم تلجأ إلى توظيف لغويين في مختلف اللغات التي تتعامـــل مـــع شعوبها اقتصاديا بهدف وضع نشريات لمنتجاتها لترشيد المســـتهلكين الحقيقيـــين

والمفترضين لتلك المنتجات، وتنفق على ذلك الملايين، أليس هذا تنمية اقتصادية واجتماعية للبشر عائدة من اللغة؟ هذا ويرى الباحثون أنّ الدافع الاقتصادي هو العامل الأول في تعلم اللغات34 وهو أمر يمكن ملاحظته في كل دول العالم، ومنه الجزائر التي هي موضوع حديثنا ففي الجزائر. لا يشكّ أحد أنّ إقبال المواطنين على تعلّم الفرنسية كان بدوافع اقتصادية إذ يمنح لهم فرصة لترقية اقتصادية أكثر من زملائهم الذين يتلقون تعليمهم باللغة العربية، لأنّ اللغة الفرنسية عندنا هي لغة الاتّصال والاقتصاد فلا يمكننا أن ننكر دورها في الحاسبات الالكترونية وشبكة الانترنت، فالحاسبات منتجات ذات حاسة لغوية، لأنّ اللغة مقوما من مقوماتها35 فهنا يصبح إتقان اللغة الفرنسية أمرا ضروريا جدا لتحسين الأداء الوظيفي الاتصالي والاقتصادي، وهو ما عبر عنه الأستاذ فلوريان كولماس صراحة إذ يقول (الكفاءة اللغوية هنا تصبح عنصرا من عناصر الكفاءة الاقتصادية)36 ولعل هذا الدور للغة في عملية الاقتصاد هو الذي جعل هذا الباحث يرى أنّ (التعاملات الاقتصادية دائما إنما هي تعاملات اتصالية)37 ومن ثم كان تعليم اللغة ضروريا لتحسين الأداء الوظيفي38 للنهوض بالاقتصاد؛ هذا زيادة على أنّ اللغة الفرنسية عندنا تمنح الفرصة لمتعلميها لتبوء مكانة اقتصادية مرموقة في المؤسسات الاقتصادية الوطنية العامة والخاصة، كقطاع البنوك، والتامينات، وغيرها من القطاعات الوطنية المدرة للثروة ومنه نستنتج أن للغة دورا خطيرا في التنمية الاقتصادية للفرد والمجتمع ونستطيع من ثمّ تفسير الإقبال الذي تحظى به الفرنسية عندنا باعتبارها لغة تمنح امتيازات اقتصادية لمكتسبها لا توفرها العربية، ومن ثم كانت اللغة– ولا شك– عنصراً مؤثراً في العملية الاقتصادية يقول فلوريان كولماس (انها تمارس تأثيرا في العملية الاقتصادية)39 ومن ثم لا نبعد عن الصواب إن قلنا إن اللغة الفرنسية عندنا في الجزائر تلعب هذا الدور، وبامتياز إذ توجه الاقتصاد الوطني الوجهة التي تريد وهي الوجهة التي تجعله يرتبط باللغة الفرنسية، ومن ثم الاقتصاد الفرنسي خارجيا وداخليا، بحكم كونها اللغة الوحيدة

التي يتقنها المتعامل الاقتصادي الجزائري، سواء كان قطاعا عموميا، أو قطاعا خاصا، إذ اللغة التي تدير لعبة الاقتصاد هي الفرنسية ولعل ما زاد هذا الأمر تأثيرا هو كون اللغة الفرنسية في الجزائر تقوم بدورالوسيلة الرائدة في مجالات الاتصال العليا، مثل العلم والحكومة والقانون،كانت هذه هي العلاقة بين اللغة والاقتصاد، كما بدت لنا من خلال أبحاث المختصين في هذا الشأن وهي علاقة تأثير وتوجيه، إذ أثبتنا من خلال الأقوال التي نقلناها عنهم أنّ اللغة لم تكن أبدا محايدة، حتى في مجال الاقتصاد، فهي تقوم بدور الموجه لرجال الاقتصاد فتجعلهم يستثمرون أموالهم في الشركات التي تنتمي إلى اللغة الموجهة، وهي هنا الشركات الفرنسية، أو الشركات التابعة للبلدان الناطقة بالفرنسية، وهو دور يبين أيضا مدى ما تدره اللغة الفرنسية على فرنسا اقتصاديا وسياسيا، ولعلّ هذا هو الذي يفسر إنفاق الدولة الفرنسية على لغتها بسخاء، فقد قيل هي الدولة الأكثر إنفاقا على لغتها في العالم، ففرنسا هي البلد الوحيد الذي يجري دورات تكوينية لإطارات من دول العالم الثالث في اللغة الفرنسية، وتنفق على ذلك بسخاء، ولكن هذه السياسة جعلت فرنسا ما تنفقه باليد اليمنى تأخذه باليد اليسرى، ولذلك مافتئت تمارسها باستمرار، وهي سياسة لا يمكن لنا إلا أن نصفها بالسياسة الرشيدة للدولة الفرنسية،نأمل أن تكون قدوة لنا ولأمثالنا من الدول العربية التي تشبه حالتها حالتنا.

ثانيا:اللغة والتنمية الفكرية: إنّ علاقة اللغة بالفكر شيء لا مراء فيه، إذ يقرّ الباحثون المهتمون بالشأن اللغوي أنّهما وجهان لعملة واحدة، فلا فكر من دون لغة،ولا لغة من دون فكر، ومن ثم فقد قيل (إنّ اللغة أشبه بالجسد فمثلما لا غنى للجسد عن الروح كذلك لاغنى للفكر عن اللغة)40 ويرى منير الحافظ (إنّ في اللغة خصائص بنوية قادرة على استيعاب مشاكل العصر وامتصاص ازماته وطرح الحلول والرؤى ومن أهم وظائفها الاتصال)41 ولعلّ هذا الارتباط القوي بين اللغة والفكر هو الذي جعل بعضهم يقول أن من يفقد لغته فقد فقد إيمانه، ونحن نقول ومن استعار لغة الآخر يكون كمن استعار فكره وهويته غير أنّ مقولتنا هذه

لا تعني أنّنا ننبذ تعلم لغات الآخر، كلا لا نقصد هذا ولا يقول بهذا عاقل في نظرنا، بل نرى أن تعلم لغة أخرى بمثابة فتح نافذة نطل منها على العالم الآخر، وإنّما الذي نرفضه هو أن يستبدل الإنسان لغته الأمّ بلغة الآخر كما هو حالنا في الجزائر، إذ استعار مجتمعنا لغة غير لغته القومية لتعلم العلوم، واكتساب المعرفة، ولتسيير شؤون البلاد والعباد اقتصاديا وفكريا وسياسيا، وهو الأمر الذي جعل مجتمعنا يعيش تخلفا فكريا رهيبا إذ لم يستطع التفكير بهذه اللغة المستعارة، وهذا هو سبب التخلف الفكري الذي يعيشه مجتمعنا إنّ الفكر مرتبط باللغة أو الإبداع الفكري مرهون باللغة الأمّ يرى كل الباحثين أنّه لا نهوض لمجتمع ما من دون لغته القومية، وعموما ما يمكن قوله في هذا المقام هو أن اكتساب المهارة اللغوية ضرورة حتمية لارتقاء الذكاء يرى منير الحافظ انه بفضل عامل اللغة (طفق الفكر ينزع نحو إنتاج مفاهيم ومواقف)42 وهو قول يجسّد علاقة اللغة بالفكر كما بينا ويرى محي الدين صابر أنّ هناك (تطابقاً بين اللغة والفكر الإسلامي بصورة تفوت تاريخا كل صلة بين لغة ما وبين فكرة ما تعبر عنها تلك اللغة ذلك أنّ الجزء الأساس في الدين الإسلامي لا يقع سليما دينيا إلا إذا أدي باللغة العربية)43 ولعل هذا هو الذي يفسّر كثرة الانحرافات من أبنائنا الذين تعلموا بالفرنسية لأنّها منعتهم من الفهم السليم لدينهم يقول الأستاذ الحاج عبد الرحمن صالح (إنّ الأسبقية في استيعاب اللغة يجب أن يكون للغة الأصلية لأنّ إهمالها والاقتصار على تعلّم لغة ثانية يجعل الفرد ينتمي للآخر ويكتسب قيمه فيفقد هويته لأنّ زاوية النظر تكون مبنية على ثقافة مغايرة تستوطن أفكاره وتجعله أسيرا لعصبية مفترضة)44 ولعلّ هذا هو الذي حدث في الجزائر، إذ أنتجت السياسة اللغوية إنسانا جزائريا، يتعصّب للغة الآخر، ولأفكاره،وقيمه أكثر مما يتعصب للغته وقيم مجتمعه، وهو أمر غريب، ولكن قد تزول هذه الغرابة إذا أدركنا مهمّة اللغة وقدرتها العجيبة في التأثير على من يتكلمها، وعموما ما يمكن قوله هنا هو أنّ اللغة تنمي الفكر والفكر ينمي اللغة فلقد قال الباحثون(إن اللغة والفكر يؤثر كل منهما في الآخر)45 بل

ذهب عدد من الباحثين إلى اخطر من ذلك حين نصوا بالقول (إنّ اللغة ليست وسيلة للتعبير عن الأفكار بل إنّما هي نفسها التي تشكل تلك الأفكار)46 كما نقل عن الباحث الأمريكي بنيمن لي وورف (whorf) قوله (إنّ البنية اللغوية أو التركيب اللغوي هو الذي يحدد الفكر ويسيطر عليه سيطرة كاملة، ولذلك فإن معرفة البشر بهذا العالم، وتجاربهم فيه، ونظرتهم إليه، ومواقفهم منه تختلف باختلاف اللغات التي يتعلمونها)47 ومن ثم كان التوحيد اللغوي لأفراد الأمّة الواحدة ضرورة، لتوحيد أفكارهم ومشاعرهم يقول الباحث يوسف جمعة (إنّ أفراد المجتمع الذين يستخدمون لغة واحدة يشتركون في أمور كثيرة في اتجاهاتهم السياسية والأخلاقية بل أنهم يشتركون إلى بعيد في الطريقة التي ينظرون بها إلى العالم... وتصنيفهم للاشياء المحسوسة والمعاني)48 ولعلّ هذا هو الذي دفع بالعالم الأمريكي واطسون إلى القول (إنّ التفكير هو اللغة)49 وعموما ما يمكن قوله في علاقة اللغة بالفكر هو أنّ وظيفة اللغة لا تقتصر على إمداد الفرد بالأفكار والمعلومات، ونقل الأحاسيس إليه بل إنّها تعمل على إثارة أفكار وانفعالات ومواقف جديدة لديه وتدفعه إلى الحركة والتفكير)50 كما أنّ أدوات اللغة ورموزها تعين الإنسان على تحديد تصورات عقله وحياته51 بل يذهب الباحثون إلى أنّ النمو العقلي للإنسان منوط بنموه اللغوي52 وكانت هذه هي العلاقة بين اللغة والفكر من وجهة نظر الباحثين اللغويين، وغير اللغويين، وهي نظرة أقلّ ما يقال عنها إنّها ترفع من شأن اللغة إلى درجة المطابقة بينها وبين الفكر، بل وجدنا الكثير من الباحثين من يرون أنّه لا فكر من دون لغة كما وجدناهم يرون للغة سلطانا قويا في توجيه الفكر البشري فاللغة عندهم هي التي ترسم الواقع كما تريده، وهي التي توجه رؤية الإنسان الذي ينتمي إلى الأمة الناطقة بها، وهي أقوال تبين بوضوح خطورة اللغة في حياة الأمم والأفراد، وقد تنبّه إلى هذه الخطورة جلّ الباحثين، ولذلك وجدناهم يعرفون اللغة بأنّها (مجموعة تقنيات تمكن شخصا ما من توجيه أفكار شخص آخر من خلال استخدام الرموز المنطوقة أو

بدائلها المكتوبة)53 بل وجدناهم يقولون (إنّ اللغة مصممة لتؤدي وظيفة وهي وظيفة توجيه الفكر)54 وعليه فلا نرى مناصا من تجديد الدعوة إلى ضرورة التحكم في اللغة الأم قبل تعلم لغة أجنبية حتى يصير المتعلم يفكر بلغته الأمّ، حينذاك نمكنه من لغة ثانية، وثالثة لتكون روافد لفكره، كما نلح على ضرورة أن تتوحد لغة التعليم في بلادنا، بأن يكون التعليم باللغة الوطنية دون غيرها، حينذاك نكون قد تجنبنا الكثير مما نعاني منه الآن ونكون قد عرفنا هويتنا (من نحن) وإذا عرف الإنسان هويته يكون قد حقق نسبة كبيرة من النهوض والتطور.

ثالثا:اللغة والتنمية الاجتماعية: كنا قد بينا سابقا أنّ للغة دورا في الترقية الاقتصادية والفكرية، وإذا ثبت هذان الدوران للغة فإنّ دورها في التنمية الاجتماعية يكون نتيجة حتمية، إذ النماء الاجتماعي هو حاصل النماء الفكري والاقتصادي، وإذا ثبت لدينا في مجتمعنا أنّ اللغة التي يحظى متعلموها بترقية اقتصادية هي الفرنسية فإن اللغة التي يحظى متعلموها بترقية اجتماعية تكون حتما هي اللغة الفرنسية أيضا إذ الترقية الاجتماعية تابعة عادة للجوانب الاقتصادية، يصحّ هذا التحليل إذا أبعدنا فئة المحامين والقضاة، فإنّ هذه الفئة تلقت تعليمها بالعربية ومع ذلك فهي تحظى بمكانة اجتماعية مرموقة متعلقة بنوعية الوظيفة نفسها التي تؤدّيها في المجتمع، إذ كلّ المجتمعات البشرية ترى وظيفة المحاماة والقضاء رؤية مرموقة، نظرا لحاجة المجتمع في جوانبه الحياتية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية إلى هذه الفئات (الوظائف) ومن هنا نالت هذه الفئة هذه الحظوة، فهي حظوة لا تعود إلى اللغة بقدر ما تعود إلى نوعية الوظيفة، ومركزيتها داخل المجتمع، ومع ذلك فالمحامي الذي يتقن اللغة الفرنسية تكون له فرص أكثر من زميله الذي لا يتقن الفرنسية، ومن هنا يتأكد لدينا دور اللغة في الترقية الاجتماعية، وتزداد هذه الترقية إذا تلقى المتعلم تكوينه باللغة المسيطرة، أي التي تكون في درجة رفيعة في المجتمع كما هو حال الفرنسية في الجزائر وتنحط مكانته الاجتماعية إذا هو لم يتلق تعليمه بها، فمتعلمو العربية لا يمكنهم الحصول

على وظائف سامية في الدولة الجزائرية ولا يمكنهم من ثم أن يحصلوا على تنمية اجتماعية تضاهي زملاءهم الذين تعلموا بالفرنسية، لأسباب تتعلق بمكانة اللغة الفرنسية لدى مؤسّسات الدولة الجزائرية، هذا هو الواقع الاجتماعي لفئة المتعلمين بالعربية، وهذا هو وضعهم، وهو وضع غير سوي، وغير طبيعي نراه وضعا مؤقتا، يجب إزالته، واقع خلق اتجاها سلبيا نحوها –العربية– وربطها بمظاهر التخلف بطردها من المواقع المتقدّمة في الحياة المعاصرة، بحيث أصبح الحراك الاجتماعي للأفراد في المجتمع الجزائري مرتبطا ارتباطا عضويا باللغة الفرنسية، التي أصبحت هي وحدها تقريبا مناط المكانةالاجتماعية، والدور الاجتماعي، مما أدّى إلى نتيجة خطيرة هي فقدان الكبرياء الفكري للأمّة الجزائرية فأصبح الجزائريون يشككون في شخصيتهم الحضارية وفي ذاتيتهم الثقافية. هذا ويجب أن نشير هنا ضرورة إلى أنّ أهمّ العوامل التي تساعد على انتشار اللغة –أية لغة– إضافة إلى العوامل الاقتصادية – وكما يذكرها الباحث فلوريان كولماس (هي الغلبة والهجرة الكثيفة والاستعمال والتحول الديني والتخطيط اللغوي الرسمي وكذلك النقل والتجارة)55 وهي العوامل التي نعتقد أنها غير موجودة لتمكن اللغة العربية من الانتشار والتوسع الآن وإن وجد بعضها فإنّها لن تكون فعالة، إذ يرى الباحث أنه نادرا ما تكون هذه العوامل فعالة بشكل مستقل56 ونحن إذا رحنا نبحث عن هذه العوامل فإننا واجدون أنها موفورة للغة الآخر إذ عامل الغلبة للغة الآخر، اقتصاديا واجتماعيا، وفكريا، وكذلك عامل الهجرة، اذ بعد الاستقلال ارتبط المجتمع الجزائري اجتماعيا بالمجتمع الفرنسي فصارت هناك هجرة كبيرة نحو فرنسا وهو عامل ساعد، ولا يزال يساعد على انتشار اللغة الفرنسية في الجزائر، أما الاستعمال فقد ذكرنا سابقا أنّ الفرنسية تسيطر على مجالا ت الحياة عندنا كلها، ولم تترك للعربية غير حجرات الدرس في المدرسة، أما التحول الديني فهذا العامل غير موجود الآن إذ كان قد وجد تاريخيا وساعد –ولاشك– آنذاك على انتشار اللغة العربية أما التخطيط اللغوي الرسمي، وهو موضوع مقالتنا هذه، وإن وجد فإنه لا

نراه يلبي طموحاتنا اللغوية، والدليل على ذلك أن هذه السياسة اللغوية التي تنفذ لم تنجح في النهوض بالمواطن الجزائري لغويا، إذ كنا قد بينا التخلف الابلاغي والبلاغي الذي عليه المجتمع، ومن ثم فالتخطيط اللغوي المتبع يجب مراجعته فهو تخطيط غير ناجع، وقد أثبتنا الأضرار التي تنتج عن إبعاد اللغة الأم من أن تكون لغة مسيطرة على كافة المجالات، أما النقل و التجارة فهما عاملان تابعان للعوامل الأولى التي تخدم اللغة المسيطرة على الاقتصاد وهي الفرنسية، وعليه فإنّنا نرى أنّ السياسة اللغوية المتبعة في الجزائر لم ولن تكون قادرة على تحقيق تنمية اجتماعية تتسم بالعدالة للأسباب التي ذكرناها، وقد لا تكون مقولتنا هذه خاصة بالجزائر وحدها، إذ التخطيط اللغوي السليم شيء معدوم في جل البلدان العربية كما يرى بعضهم، يقول الباحث وليد العناني في هذا الشأن: التخطيط اللغوي السليم وهو يكاد يكون معدوما في البلاد العربية ويتمثل في غياب سياسات لغوية عربية تسهم في حل كثير من القضايا اللغوية العالقة في المجتمع العربي، وتحدد موقفنا من كثير من الموضوعات الحاسمة المرتبطة لتنمية مجتمعاتنا وترقيتها57.

رابعا: اللغة والتنمية الثقافية والحضارية: لا يجادل أحد في كون اللغة على علاقة مباشرة بالثقافة، والحضارة الإنسانية في أي مجتمع من المجتمعات، بل اللغة هي الحضارة نفسها، وهي الثقافة يقول منير الحافظ (إنّ اللغة علم الثقافة الانسانية التي يتواصل بها الناس لتحقيق حاجاتهم)58 بل اعتبار اللغة سرّ الحضارة الانسانية امر مسلم به عند كل الباحثين59 وسبق أن بينا في غير هذا الموضع أن حضارتنا العربية الإسلامية التي ننتمي إليها، والتي نعتز بها ترتهن في وجودها إلى النص (النص القرآني) ومن ثم فقد لقبت بحضارة النص، من القرآن الذي هو نص لغوي قبل كل شيء، من(اقرأ) تأسّست البذور الأولى لحضارتنا، من فعل القراءة انطلقت الحضارة، ونعتقد أنها مازالت منطلقة وإن تعثرت فإنها ستنهض، هل كان يمكن للعرب وللمسلمين أن يؤسسوا هذه الحضارة لو لم يكن لهم نص – لغوي– نص وإن كان لغويا إلا أنّه كان شاملاً لعوامل النهوض، والتأسيس

لحضارة المسلمين، بل العالمين، نقول هذا ولا نصادر حضارة الأمم الأخرى، لأنّ القرآن لم يصادرها، بل وجدناه احترم الكثير مما جاء في الحضارات، والثقافات الأخرى إذا وافق العقل والطبيعة والفطرة، فلقد أقر الإسلام بوجود قيم في الحضارات الأخرى فطورها قال عليه السلام ﴿إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق﴾60 ففي الحديث دلالة على وجود أخلاق ذات قيمة اجتماعية إنسانية، وإلا لما تممها عليه الصلاة والسلام، هو لا يتمم الخبيث والمنكر، كما نصّ القرآن الكريم في الكثير من آياته على وجوب تعامل المسلمين مع غيرهم من بني البشر فقال ﴿لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين﴾61 وغيرها من الآيات التي نعتقد أنّها جاءت لتعلم المسلمين كيف يساهمون في بناء حضارة إنسانية تتسم بالشمولية والعالمية، مبنية على احترام الآخر مادام يحترمنا ولا يحاربنا، لأنه مهما كان هذا الآخر فهو شريكنا في الآدمية والإنسانية التي كرمها الله فقال جل من قائل ﴿ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾62 وكل هذه البنى الحضارية نعتقد أنّها كانت نصا لغويا، إذ البناء حتى ولو كان ماديا فهو قبل أن يبنى يجب أن يصاغ صياغة لغوية، ومن ثم فهو لغة، أو نص لغوي في أصله، وعموما ما يمكن استخلاصه هنا، وكما ينصّ الباحثون هو أنّ (اللغة تعتبر الأداة التي تعمل على تولد الحضارة وهي الوسيلة التي قد تتطابق بها الحضارة من شخص إلى آخر ومن جيل إلى الجيل الذي يليه)63 وقيل أيضا (لما كانت اللغة تقنية فثمة طريقة واحدة يمكن أن تكون قد أتت بها اللغة إلى الوجود فاللغة جزء من الحضارة)64 وقيل أيضا (إنّ السلوك الاجتماعي ذو الطابع البشري المميز لا يمكن أن يوجد بغير اللغة)65 بل ذهب الباحثون إلى القول بان (القدرة على التكلم هي قدرة على صنع الوسائل الحياتية المنتجة)66 وقيل (التكلّم هو إحداث تعديلات في العالم المادي لخدمة الأغراض البشرية)67 وقيل (ننظر إلى الكلام على أنّه صنع وسائل حياتية منتجة)68 بل

يرون أنّ (الكتابة وسائل حياتية منتجة)69 كما قيل: (إنّ الواسطة المهمة التي يتحضر بها الإنسان إن هي إلا نظام من الرموز يتوسط بين المؤثر والمتأثر وهذا النظام هو اللغة)70 ومن هنا لا نتوقع معارضة من أحد اذا قلنا إن اللغة هي الحضارة– اللغة في مستواها النصي طبعا، ومن ثم قلنا سابقا إنّ حضارتنا كانت حضارة نص، وهو قول نعممه على كلّ الحضارات، إذ كلّ الحضارات التي عرفتها البشرية هي بنت نص لغوي، ومن ثم كان الباحث أحمد محمد المعتوق على حق حين قال: إنّنا بواسطة اللغة نستطيع أن نكشف الانتماء الحضاري للشخص حيث نص بالقول (ومثلما نتعرف شخصية الفرد وكيانه الروحي والوجداني وانتماءه الحضاري من خلال ممارسة اللغة نتعرف أيضا شخصية المجتمع وحضارته من خلال ممارسة هذا المجتمع للغته حيث تكون هذه اللغة هي العصب النابض لكلّ نشاط اجتماعي، وهي المصدر الحي لمعرفة القيم،والمثل والمفاهيم الحضارية التي تميز مجتمعا عن غيره من المجتمعات، وبهذا تصبح اللغة فهرسا بحضارة كلّ مجتمع تتأثّر بها وتؤثّر فيها بحيث يصبح الفصل بينهما متعذرا –ثم عقب على ذلك بقوله– ومن هذا المنطلق يمكن اعتبار اللغة جزءاً من كيان المجتمع وكيان حضارته)71.

خامسا: ضعف السياسة اللغوية في الجزائر، ومخاطرها: على ضوء ما سبق أن بيناه يمكننا وصف السياسة اللغوية في الجزائر بالسياسة الضعيفة، بل المضرة والمبنية على مخاطر، فإذا كانت الدساتير الجزائرية في عهد الجزائر المستقلة كلها تنص في بنودها على أنّ اللغة العربية هي اللغة الرسمية، وهي الوحيدة التي تتمتع بهذه الصفة الدستورية إلى جانب الامازيغية في الدستور الأخير وهي بهذه الدسترة نالت صفات لا بدّ من الإشارة إليها كما هي مستنبطة من الدستور وكما هو شأنها عند الدارسين وهي72:

1–رمز الوحدة الوطنية

2–رمز الانتماء القومي

3-رمز الانتماء الإسلامي

فإذا كانت الدساتير الجزائرية قد نصت على هذا الأمر فإن الواقع الاستعمالي الذي يتجسد بطبيعة الحال في أرض الواقع،نجده يرسم سياسة لغوية،تتعارض تماما مع الدستور، ويجعل هذا الواقع منا البلد الوحيد، أو من البلدان القلائل في العالم التي تناقض دستورها، فهو واقع لايشاركنا فيه إلاّ بعض الدول العربية التي يشبه حالها حالنا،مثل المغرب وتونس، وإن كانت رداءتنا التواصلية أسوأ منهما، إن الواقع الاستعمالي للغة العربية في الجزائر، يجعل العربية محصورة في الطبقة المتعلمة بالعربية دون سواها، وهي النخبة التي تختص في العلوم الإنسانية، إذ كانت العلوم الإنسانية قد عرّبت، ومن ثم كانت هذه النّخبة محصورة في وظائف معينة كالمحاماة والقضاء والتعليم والإمامة وبالمقابل نجد الفئة المتعلمة بالفرنسية هي النّخبة المسيطرة على دواليب الحياة العامة في الجزائر، وهو واقع يجعلنا نقر بوضوح إنّ السياسة اللغوية في الجزائر تعبّر عن واقع مر وأليم، فهي سياسة تعيق التنمية الفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية للفرد والمجتمع، وذلك من خلال السياسة اللغوية المرسومة التي جعلت المجتمع الجزائري يرتهن بها فكريا وحضاريا، فهي أنتجت نموذجين من النخبة المتعلمة في الجزائر، نموذج يرتهن في تكوينه إلى اللغة القومية وهو النموذج المتخصص في العلوم الإنسانية، والنموذج الآخر يرتهن في تكوينه إلى لغة الآخر (اللغة الفرنسية) الذي تربطنا به علاقة تاريخية مرة ومؤلمة، علاقة مؤسسة على الدم والنار وكلا النموذجين عملت اللغة التي تكون بها على صنعه على عينها، إذ من المقرّر لسانيا أنّ اللغة ليست أداة إيصال فحسب كما يرى البعض، بل هي تصنع الواقع وترسمه كما تريده هي وعلى نظامها وفكرها ونفسية أهلها، وهكذا تنتج اللغة إنسانا موسوما بنفسية مجتمعها، لأنّها بنت المجتمع فاللغة والفكر كما بينا سابقا وجهان لعملة واحدة فلا لغة من دون فكر ولا فكر من دون لغة، ومن هنا فقد نتج عندنا نموذجان مختلفان في النظر إلى الواقع والى الأشياء فكانا نموذجين متنافرين وإن حاولا أن يكونا

غير ذلك في الظاهر، وهو أمر طبيعي– فيما نرى– إذ هو أمر حتمي لوظائف اللغة فكلّ لغة ترى الواقع وترسمه حسب رؤيتها الملبسة بنفسية الناطقين بها أي مجتمعها، وهكذا أنتجت سياستنا اللغوية نموذجين متضادين يعيقان البلد من التطور والنهوض، كما يعيقانه من التنمية العادلة لأبنائه، ويحرمانه من العدالة الاجتماعية، أو تساوي الفرص والحظوظ للمواطنين إنّه واقع مر ومؤلم هذا الذي تعيشه الجزائر لغويا، وظهر أثره السيئ على أبنائها اجتماعيا، وفكريا واقتصاديا، فحاز النموذج المفرنس على ترقية اجتماعية واقتصادية هيأتها له السياسة اللغوية التي له يد كبرى في صنعها، ولا يزال يعمل على إبقائها لإطالة عمر ترقيته وحظوته، حتى جعل من هذه اللغة لغة تتحكم في البنى الفكرية والاجتماعية والاقتصادية للنخبة الوطنية، فصار هذا النموذج يتحكم في المؤسسات الاقتصادية والمراكز التقنية، زيادة على الطب والصيدلة، وهي وظائف تمنح لأصحابها مكانة اجتماعية متميزة في كلّ المجتمعات البشرية، أما النموذج الآخر الذي يرتهن في تكوينه إلى اللغة العربية المحصور في العلوم الإنسانية التي تنحصر وظائفها في التعليم، وبعض الوظائف الإدارية غير الحساسة دون أن تمنحهم فرصة الوصول إلى سلطة اتخاذ القرار السياسي، أو الإداري، إذا فقد برز في المجتمع الجزائري لغتان تصنفان واقعين متمايزين متنافرين أحدهما حظي بمركز القرار والآخر يوجد على الهامش، الأمر الذي ولد عدم مواءمة فكرية واجتماعية واقتصادية في البلد، إذ تركزت الثروة والسلطة بيد جماعة قليلة مكونة بلغة الآخر وتفكر بفكره لأنها نخبة صنعها الآخر على عينه فحتما تكون نظرتها للأشياء والواقع مختلفة عن نظرة النخبة المعربة، وهكذا تعيش بلادنا وضعية غير طبيعية وغير سليمة إذ لا يعقل أن يتم التكوين في التقنيات بلغة غير اللغة القومية، وفي الإنسانيات باللغة القومية فهذا واقع أعرج لا يساعد الأمّة على وحدة الفكر وقدرة الإبداع، بل يعيقها حتى تواصليا وهو ما نعمل على علاجه من خلال العناوين التالية إذ نرى أنّ مجتمعنا صار مجتمعا معوقا اتّصاليا، وفكريا وإبداعيا بسبب السياسة اللغوية المتبعة السياسة

المضرّة التي تعيق المجتمع تبليغيا وإبلا غيا وفكريا واجتماعيا وإبداعيا واقتصاديا وحضاريا، وهي المعوقات التي نعمل على كشفها فيما يلي بإيجاز.

1-الواقع اللغوي والوظيفة التبليغية الاتصالية للغة (اعاقة تبليغية إبلاغيـــة):

ما هو مؤكد عند اللسانيين المحدثين، وصار مسلمة من المسلمات أنّ أهم وظيفـــة للغة البشرية هي التبليغ أو الإبلاغ، ونحن إذا أقررنا بهذه الوظيفة فإنّنا واجدون أنّ المجتمع الجزائري معوق إبلاغيا واتصاليا إذ لم تفلح السياسة اللغوية المتبعة فـــي الجزائر من النهوض به، وتمكينه من اكتساب مهارات لغويـــة تجعلـــه يتواصـــل بسلامة وينقل المعلومة بسهولة ويتواصل مع غيره، وما ذلك في نظري إلا بسبب السياسة اللغوية الفاشلة، السياسة التي جعلت للجزائـــري لغـــة للانســـانيات ولغـــة للتقنيات وهي لغة المستعمر يتواصل بها أهل الاختصاصات التقنية فيمـــا بيـــنهم، وإذا حدث وأن وضعوا في مقام يخاطبون فيه العامة من مجتمعهم الـــذي ينتمـــون إليه، أو غير المتخصّصين في التقنيات وجدناهم معوقين لغويا، كمـــا يظهـــر فـــي حوارات الأطباء والصيادلة والمهندسين بمختلف تخصصاتهم، الأمر الذي يجعلهم ينزلون إلى اللغة الدارجة بهدف التوصيل والتواصل فتجـــدهم يصـــدرون جمـــلا معوقة، إذ تجد الطبيب الجزائري، ومثله المهندس والتقني- إذا تحدثوا بالعربيـــة- يصدرون جملا لايمكنني وصفها إلاّ بالمعوّقة، جملا تناقض ما يريـــدون تبليغـــه وتوصيله -هذا مايفهمه منها المستمع العربي- إذ يقول الطبيب مثلا وهـــو يريـــد إبراز خطورة المرض الذي يتحدث عنه إذا لم يتم الكشف عنه ومعالجته بقولـــه (يقدر المريض يموت إذا هو لم يعالج نفسه) مع تهذيب مني لهذه الجملة طبعا، ومع تهذيبي لها، فإنّني -ومعي القارئ الكريم- نستطيع أن نفهم منها أن المريض هنـــا عند الطبيب الجزائري هو من يحاول أن يميت نفسه، أو هو من يبحث عن القدرة لإماتة نفسه، وهو أمر لا يقصده الطبيب طبعا، وإنّما الـــذي يقصـــده الطبيـــب أنّ المريض يعرض نفسه للهلاك إذا لم يعالج نفسه مبكرا، كما نجد أطباءنا عند فحص مريض ما يقولون له (عندك المرارة أو عنك المصران أو عندك المعـــدة) وهـــي

جمل معوّقة إذ كلّ الناس تخلق بمرارتها وبمصرانها وبمعدتها، فعوض أن يقول له أنت مصاب بداء في مرارتك، أو بداء في مصرانك الغليظ، أو بالتهاب في معدتك نجدهم يصدرون هذه الجمل المعوقة وغير السليمة هذا زيادة على عجزهم عن مخاطبة الجمهور الواسع في الجزائر بلغة عربية فصيحة سليمة، باستثناء قلة من الأطباء الذين تخرّجوا من المدرسة الأساسية، ومن ثم نجد أطباءنا يلجئون إلى استعمال اللسان الفرنسي الأمر الذي يجعل فوائد هذه الحصص الطبية المتلفزة محصورة في الطبقة المفرنسة، وهو إقصاء وتهميش للمواطنين أيضا، وحرمان أغلبية أفراد المجتمع الجزائري من حقوقهم في الثقافة الصحية،اما الفئة الثانية فلغتها هي اللغة العربية وهي الفئة المتخصصة في العلوم الإنسانية من فلسفة، وتاريخ، واجتماع وعلم نفس، واقتصاد وتربية وعلم مكتبات وكل العلوم الإنسانية، وهي الفئة التي تلقت تكوينها باللغة العربية، وهو أمر طبيعي إذ ينص الدستور الجزائري كما بينا سابقا على أنّ اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة الجزائرية، غير أن هذه الفئة سرعان ما تصطدم بواقع مر وأليم حينما تتخرج من الجامعة، وتتوجه إلى عالم الشغل، إذ يفرض عليها هذا العالم أن تتفرنس وإلا لم يكن لها حظ في الحصول على منصب شغل، خاصة في المؤسّسات الاقتصادية والإدارية غير التابعة للوظيفة العمومية، كقطاع البنوك والبريد وشركات الضمان والتامين وغيرها، الأمر الذي جعل بعض المسئولين في هذه المؤسسات ممن لا تأهيل لهم، ولا شهادة علمية لهم إلا عمرهم المديد في كواليس الإدارة، يتطاولون على هؤلاء الشباب، ويحكمون عليهم بالضعف العلمي، وعدم الكفاءة وفي الحقيقة هو ليس ضعفا علميا، وإنما هو ضعف لغوي، (أراه استقلالا لغويا) ضعف في اللغة الفرنسية إذ يرى هؤلاء المسؤولون الذين لا يملكون في غالب الأحيان المؤهلات العلمية، غير إتقانهم لأعمال إدارية روتينية اكتسبوها بفضل احتكاكهم بالإدارة لمدة طويلة، فصارت هذه الخبرة بمثابة كفاءة يتباهون بها على الشباب، وما هي بكفاءة زيادة على خبرة بيروقراطية يعرقلون بها مصالح الناس، ويأخذون بها حقوق

المواطنين، إذ لو كان لهؤلاء كفاءة لما كانت البلاد على هذه الحال، ثم هناك لغة ثالثة وهي اللغة أو اللهجة الدارجة التي يلجأ إليها عامة الناس، أو لنقل كل الناس حينما يتخلصون من أعمالهم الرسمية التي تكون إما بالعربية الفصحى، أو بالفرنسية فتكون لغة تواصل مشتركة وهي لغة هجينة من العربية والمازيغية والفرنسية والتركية وهي –كما يبدو لي– أقبح اللهجات العربية مقارنة بلهجات الإخوة العرب إذا استثنينا لهجات أهل الصحراء وقد تذمر فخامة رئيس الجمهورية شخصيا من هذه اللغة الهجينة في أكثر من مناسبة، وعبر عن أسفه على هذا الواقع اللغوي المر والأليم، ثم أن الباحثين يصفون هذه اللغة (الدارجة) بعدم الديمومة اذ هي كثيرة التغيير وسريعته، وهي أيضا لغة غير مكتوبة، ومن ثم ليست لغة علم وثقافة حاربتها كلّ الأمم والشعوب التي تحترم لغتها القومية، فلماذا يصرّ الجزائري على توظيفها مع قبحها وقصورها؟ وهكذا يعبر هذا الواقع عن إعاقة ايصالية تواصلية واضحة في مجتمعنا عجزت السياسة اللغوية المتبعة في الجزائر عن حلّها، كما عجزت هذه السياسة عن إيجاد لغة صحيحة سليمة يؤدّي بها الجزائريون أهمّ وظيفة للغة وهي التواصل، إنّ الواقع اللغوي الذي تتواجد عليه الجزائر أليم، إن انحدار الإنسان الجزائري إلى هذه اللغة الهجينة القبيحة المعيقة للتواصل أمر غير مقبول ولا يمكن السكوت عنه، وهو ينبئ عن انحدار ثقافي يوازي الانحدار الاقتصادي، إذ لو رحنا نحلل هذه اللغة التي يتواصل بها الجزائريون فإنّنا نجدها مكلفة، وغير اقتصادية، فهي متعبة للحناجر والألسنة والأقلام معا، فلو توقفنا عند جملة من الجمل المتداولة مثلا نحللها ألسنيا لتبين لنا تخلفها الاقتصادي بوضوح يقول الجزائريون مثلا (جاؤوا أربعة طلبة روطار) نهذبها فنقول (جاؤوا أربعة طلبة متأخّرين) لو حللنا الجملة الأولى لوجدناها تتكون من (الفعل جاء + واو الجماعة + أربعة + طلبة + روطار) خمس وحدات، فلو تواصلنا بالعربية الفصيحة لقلنا (جاء أربعة طلبة متأخّرين) فهذه الجملة الموسومة بالفصاحة تجعل الجزائري يبلغ فكرته بتكلفة عشرين بالمئة أقل، فهي تتكون من

أربع وحدات، مع اتّصاف كل الوحدات بالفصاحة والسلامة، مما يجعل الحناجر تنطق الجملة بسهولة ويسر، بل يمكننا في الجملة السابقة إذا وفر السياق أن نقول (جاؤوا متأخّرين) أو (جاء الطلاب متأخّرين) وفي كلّ جملة من الجمل السابقة توجد إمكانية تتيحها العربية الفصحى للتواصل بأقل جهد،وهو اقتصاد تتبناه كل لغات العالم، إذ كل لغة مبنية على التبليغ بأقل جهد فلماذا يترك الجزائريون التواصل بأقلّ جهد ويتواصلون ببذل جهد أكبر؟ فهذا أمر غريب في مجتمعنا إذ طبيعيا يميل الإنسان إلى الخفة ويهرب من الثقل، فأين هي الخفة التبليغية الموجودة في جملة (جاءوا الطلبة روطار؟) أعتقد أنّ ذلك أمر يعود لقصور فكري يعاني منه الإنسان الجزائري ظهر هذا القصور في التعبيرات اللغوية المذكورة، وهو قصور، أو تخلف يضاهي تخلفنا الاقتصادي، إذ نرى أنّ تخلفنا الفكري المعبر عنه لغويا يوازي تماما تخلفنا الاقتصادي، فكما عجزنا عن النهوض اقتصاديا عجزنا عن النهوض لغويا، ففضلنا اللغة (اللهجة) المكلفة اقتصاديا (جهد أكبر) على اللغة الأقل جهدا، وهي اللغة الفصيحة، ولا شكّ أنّ رقي اللغة يدل على رقي الفكر، والعكس صحيح، إذ علاقة اللغة بالفكر وطيدة كما بينا سابقا، وإذا ثبت لدينا أنّ هناك إعاقة اتصالية تبليغية واضحة من خلال ما سبق فان الإعاقات الأخرى ستكون أوضح، إذ هي عبارة عن نتيجة حتمية لوظيفة التبليغ، إذاً إذا لم يكن التبليغ ناجعا فإنّ آثاره ستكون جلية على الوظائف الأخرى التي سمّيناها هنا إعاقات وهو ما نعمل على كشفه بإيجاز.

2-**الواقع اللغوي والوظيفة الفكرية للغة(إعاقة فكرية)**: كنت قد بينت على لسان الباحثين بمختلف تخصّصاتهم أهمية العلاقة الموجودة بين الفكر واللغة ووصلت إلى نتيجة مفادها أنه لا فكر من دون لغة، ولا لغة متطورة ناهضة من دون فكر، فإذا كان مقررا أن الفكر لا تكون له قيمة ما لم تكن له لغة تصوغه على شكل مفاهيم فان اللغة لم تكن لها أهمية ما لم يكن هناك فكر يطوّرها، أو يعمل على إنضاجها يقول منير الحافظ في هذا الشأن (إنّ التطور التقني يغني اللغة

ويمنحها عمقا عقليا ومعرفيا وجماليا)73 وهو قول لا نراه ينفرد به هو وحده بل قول يقول به أي عاقل مشتغل بالبحث اللغوي، ومعلوم أنّ لغتنا العربية مبعدة من الحقول العلمية والتقنية فكيف تغنى هذه اللغة إذا؟ أما لغتنا الدارجة –إن جاز تسميتها لغة– فهي لغة غير مكتوبة ولا تصاغ بها النظريات العلمية، وهي ليست لغة أصلا لأنّها لا تثبت على حال. لقد أشار فاينيير كما ينقل عنه محمود أحمد السيد الى أن ما يؤثر في أعماقنا بشكل غامض ومبهم لا يستحقّ أن نطلق عليه اسم فكرة أو إحساس أو رغبة أو غاية قبل أن يتشكل في لغتنا فاللغة هي التفكير وهذا التفكير إماأن يكون نفسيا أو جوهريا وكل فكرة لاتتبلور في ألفاظ وقوالب لايمكن أن يطلق عليها فكرة، بل عبارة عن شرارات لا تلبث أن تومض حتى تنطفئ)74 كما نقل عن أحدهم قوله(لكي تفهم جيدا يجب أن تعبر بوضوح)75. ولهذا قال سابير (sapir) (إنّ البشرلا يعيشون في العالم الموضوعي فقط ولا في عالم النشاط الاجتماعي فقط كما يفهم عادة ولكنهم يعيشون أيضا تحت رحمة اللغة المعنية)76 وقد نقل عن العلامة الالماني (wilhelm von humbold) قوله (إنّ اللغة هي التعبير عن الشكل الذي بموجبه يرى الفرد العالم ثم يحمله إلى داخل نفسه)77 وهو قول يجعلنا نفهم التباين الفكري بين أبناء المجتمع الواحد الذين تختلف عندهم لغة التكوين والتعليم كما هو عندنا، وهو قول يجعلنا نصدق قول اللساني الأمريكي وورف (whorf) (كلّ لغة تتضمن بالإضافة إلى مفرداتها وجهات نظر وأحكام مسبقة ضد وجهات نظر أخرى)78.

3–**الواقع اللغوي والوظيفة الاجتماعية للغة(إعاقة اجتماعية):** إذا كنا قد أثبتنا الإعاقة التواصلية، والفكرية سابقا، فإنه يسهل علينا إثبات الإعاقة الاجتماعية، وإذا أردنا البرهنة على وجود هذه الإعاقة فإننا واجدون أنها لها مظاهر، فهي تظهر بكل وضوح في الازدواجية اللغوية التي تظهر عند الإنسان الجزائري حينما يوضع موضع الاتصال، فتجده لا ينفك يدخل في كلامه كلمات بلغة الآخر، وكلمات باللهجة الدارجة، حتى ليمكن وصفه بأنّه إنسان لا يكاد يبين، وفي نظرنا أنّ هذه

الإعاقة ناتجة عن الازدواجية اللغوية المتبعة في البلد، إذ تقصي هذه الازدواجية اللغة الوطنية،من الاستعمال واللغة إذا لم تستعمل لم تصر ملكة عند أهلها إذ الملكة صفة تكتسب بالدربة والممارسة، كما تقصي هذه الازدواجية من تعلم باللغة العربية من وظائف ذات مراكز اجتماعية هامة، فجلّ الوظائف ذات التخصصات التقنية تسند إلى المتكوّنين باللغة الفرنسية من طبّ وصيدلة وهندسة وبنوك وشركات تأمين وأشغال عمومية وكبريات الشركات الوطنية كسوناطراك وسونلغاز، وغيرها من الشركات الوطنية المدرة للثروة على الوطن، وعلى من يتولّى المسؤولية فيها فتقصيرهذه الوظائف على النخبة المفرنسة هو في حدّ ذاته إعاقة اجتماعية، إذ ستميل الثروة لصالح هذه الفئة على حساب الفئة الأخرى، أليس هذا إعاقة اجتماعية للفئة المتعلمة باللغة العربية؟

4-**الواقع اللغوي والوظيفة الاقتصادية للغة(إعاقة اقتصادية):** وهي إعاقة ناتجة عن الإعاقات السابقة، إذ من يحرم من تولّي الوظائف السامية في إدارات المؤسسات الوطنية، والاقتصادية بسبب عدم إتقانه اللغة الفرنسية المسيطرة على دواليب الاقتصاد تكون هذه اللغة قد أعاقته اقتصاديا هذا على المستوى المحلي، أما على المستوى الدولي فكثيرا ماتكون اللغة معيقة اقتصاديا، إذ كثيرا ما يفضل مسيرونا الشركات الفرنسية على الشركات الدولية الأخرى لسبب لغوي، وهو عدم تمكّنهم من اللغات الأخرى أولا، ولأنّ اللغة الفرنسية التي تكونوا بها جعلتهم يفضلون التعامل مع أهلها أكثر مما يتعاملون مع غيرها ثانيا، وقد شاهدنا التقارب اللغوي في أكثر من مرة، وهو يضرب اقتصادنا، وهكذا تربح المؤسّسات الاقتصادية الفرنسية بفضل العامل اللغوي وتخسر المؤسّسات الاقتصادية الجزائرية بسبب العامل اللغوي أيضا وهكذا تصبح السياسة اللغوية المتبعة في الجزائر معيقة للبلد اقتصاديا، وهكذا تكون الإعاقة الاقتصادية التي نعني بنها هنا إعاقة داخلية تخص الأفراد الذين تكونوا باللغة العربية، إذ بينا أنّهم يبعدون من مناصب المسؤولية الاقتصادية بسبب العامل اللغوي وإعاقة خارجية أعاقت الاقتصاد

الوطني من التنمية بسبب العامل اللغوي أيضا، اذ لم تتمكن الجزائر بسبب الانغلاق اللغوي على اللغة الفرنسية وحدها من الانفتاح على غير الشركات الفرنسية فصارت اللغة الفرنسية عبارة عن سجن للاقتصاد الوطني تعوقه من أن يستفيد من اقتصاديات الدول الأخرى، مع العلم أنّه كان من الممكن تجنب هذه الإعاقة للاقتصاد الوطني وللإطارات الوطنية، لو كانت عندنا سياسة لغوية حكيمة وواعية، تركز على أن تكون لغة التكوين، ولغة العمل واحدة، وهي اللغة العربية مدعومة بالتفتح على اللغات العالمية، فرنسية وإنجليزية، وألمانية واسبانية، وأن تكون هذه اللغات تقنية بحتة ترفد الإطار الجزائري أثناء تعاونه مع الأطراف الأخرى، لا تتحكم فيه لغة الآخر، إنّ السياسة اللغوية غير السليمة التي تنتهجها الجزائر مكنت للفرنسية بأن تكون لغة المسير الجزائري، لغة وحيدة، لا يعرف غيرها هي وراء الإخفاقات الاقتصادية للبلد في نظري، إذ تجعل السياسة اللغوية في الجزائر المتعلم الجزائري باللغة الفرنسية لغة تربية، وثقافة وتكوين وتفكير، فصار بها يفكر، وبها يسير وبها يتفلسف وبها يحب وبها يكره، فصار كمن استعار لسان غيره، وفكر غيره، وهذا وضع غير سليم في نظري، وضع يخالف كل دول العالم التي تعلم اللغات الأجنبية لأبنائها كروافد للغة الأمّ (langue maternelle) بينما نحن نتعلم الفرنسية كلغة أم لا كلغة أجنبية، من هنا نتجت الإعاقة الاقتصادية إلى جانب الإعاقات الأخرى، كما أنّ هذا الوضع ناتج عن السياسة اللغوية التي وصفناها سابقا بأنها تنبني على مخاطر، ولعلّ من أهمّ هذه المخاطر وإضافة إلى اعتبار اللغة الفرنسية لغة أمّ، لم تكن هذه السياسة ناجعة في اختيار اللغات الأجنبية المدرسة لأبنائنا، ولم تكن لها أهداف محددة وواضحة، وهو ضعف لوحظ أيضا في كافة السياسات اللغوية في الأقطار العربية، فلقد أشار الباحث وليد العناني إليه فقال (إنّ تعليم اللغات الأجنبية في العالم العربي يسير على غير هدى ودون تحديد واضح للأهداف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي يرومها من انتقاء لغة معينة)79 وهو أمر أشار إليه أكثر من باحث يقول الباحث عز الدين المناصرة عن

الوضع الجزائري (ظلّت الفرنسية هي المهيمنة وازداد نفوذها بعد الاستقلال... ولم تكن الدولة الجزائرية جدية في قرارها بتحويل اللغة الفرنسية من لغة استعمارية تشكل عائقا أما العربية والمازيغية الى لغة معرفة إنسانية وحداثة يمكن أن تكون لها شرعية اللغة الاجنبية الضرورية للمعارف الحديثة ولم تلجأ الدولة الى تعددية اللغات الأجنبية للتخفيف من هيمنة الفرنسية)80.

5-الواقع اللغوي والوظيفة الابداعية الحضارية للغة (إعاقة إبداعية وحضارية):

وإذا أثبتنا الإعاقات التبليغية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية، إذ حكمنا على مجتمعنا بأنّه متخلف بلاغيا وتبليغيا ومتخلف فكريا واجتماعيا ثم اقتصاديا واعتبرنا هذا التخلّف إعاقات فإنّ إعاقتنا إبداعيا، وحضاريا تكون منطقية، إذ ذاك، إذ هي نتيجة حتمية للإعاقات السابقة، إذ إذا تعوقت الأمّة بلاغيا وفكريا واجتماعيا واقتصاديا، وهي الوظائف التي تبنى بها الحضارة -أية حضارة- تكون قد تعطلت عن الإبداع الفكري، والاجتماعي، والاقتصادي بعد أن تعطلت عن الإبداع البلاغي (الأدبي) إذا اذا تعطلت في الأمة هذه الوظائف صارت الأمة معوقة، فلم تستطع إذ ذاك المساهمة في بناء الحضارة الإنسانية، ابتداء من حضارة الأمة التي تنتمي إليها أولا، ثم الحضارة الإنسانية ثانيا، أنّني أزعم أن عقمنا الإبداعي، وتخلفنا الحضاري ناتجان عن السياسة اللغوية المتبعة في الجزائر، إذ ليس من المعقول أن يتمّ التعليم من الابتدائي إلى الثانوي باللغة العربية، ثم يتحوّل في الجامعة إلى التعليم باللغة العربية في العلوم الإنسانية، والتعليم بالفرنسية في العلوم التقنية، فهذا وضع غير طبيعي لا نجده عند الدول والأمم التي تحترم نفسها وهويتها، وهو في الحقيقة وضع ليس خاصا بالجزائر وحدها، إذ هناك بعض الدول العربية تشاركها في هذه الوضعية منها المغرب وتونس، إذ يتمّ تدريس العلوم التقنية في هذين البلدين باللغة الفرنسية بينما يقتصر إخواننا في المشرق العربي على تعليم الطبّ والصيدلة باللغة الإنجليزية، وهي وضعة غير طبيعية تتواجد عليها هذه الدول، إذ هذه الوضعية

تحرم اللغة العربية من التطوّر، ومن الاغنـــاء الفكـــري، ومـــن العمـــق العقلـــي والمعرفي، وهي وضعية أقلّ أضرارها أنّها تشعر أهلها أنّها لغـــة غيـــر مؤهّلـــة للمجالات العلمية والمعرفية، والتقنية فيصير هذا الأمر راسخا في أذهانهم، وهـــو ما وجدناه على ألسنة الكثير من الناس، ممن رسّخ في أذهانهم هـــذا الاعتقـــاد، إذ صرحت لي ابنتي في هذا الشأن حينما كانت طالبة في الثانوية أنّ إحدى الأستاذات طلبت منهن إبداء رغبتهن في الدراسة الجامعية بعد النجاح في شهادة البكالوريـــا، فأبدت إحدى الطالبات رغبتها في دراسة الطبّ، وكانت هذه الطالبة ضـــعيفة فـــي اللغة الفرنسية متفوّقة في العلوم الطبيعية والرياضيات والفيزياء، فقالت لها الأستاذة أنت غير مؤهلة لدراسة الطب لأنك ضعيفة في الفرنسية، ولما ناقشت الطالبـــات الأستاذة في المسألة قالت لهن بالحرف الواحد: إنّها لا تتصور طبا بغير الفرنسية، فهذه الأستاذة صار راسخا في ذهنها أنّ الطبّ خلق بالفرنسية، وأن الفرنسية خلقت للطب، وهو قول يذكرني بقول لأحد أساتذة التكوين المهني عندنا، إذ حدث أن نظم معهد الهندسة في جامعتنا السنة الماضية معرضا تقنيا بمشـــاركة بعـــض معاهـــد التكوين المهني عرضت فيه بعض المنتجات التقنية التي أنتجها بعض ممن تخـــرج من معهد الهندسة، وهذه المعاهد المهنية، ولما زرت المعرض المـــذكور وطفـــت ببعض أجنحته شاهدت بعض الآلات المنتجة مكتوب اسمها باللغة العربية، فســـألت أحد الأساتذة مادام تسمونها بالعربية فلماذا لا تدرسونها بالعربية؟ فأجاب بأنّ هـــذه الآلات هكذا خلقت بالفرنسية، ففهمت من كلامه أنها فرنسية بالخلقـــة واســـتذكرت الحكاية التي تروى عندنا ومفادها (أنّ ابن أم فرنسية سأل أمه ذات يوم كيف تطير الطائرة في الفضاء؟ فأجابته أمّه اقرأ يا ولدي لتعرف ذلك، ولما سأل ابن العربيـــة أمّه السؤال نفسه أجابته بقولها إنّها هكذا خلقت) ومعنى ذلك أن الأم الفرنسية تشجع ابنها على العلم، والأمّ العربية ترسخ فيه إيمان العجائز، ومعه الجهل طبعا، ونفهم من هذا أنّه لا فرق عندنا بين الأستاذ وبين الأم الأمية، وهكـــذا تصـــنع السياســـة اللغوية في الجزائر إنسانا يرسخ لغة الآخر، وفكر الآخر، حتى إنّه يعتبر أن الخلق

والابتكار والإبداع من خصائص لغة الآخر، أما لغته فلا خلق لها ولا إبداع، إنه المسخ بكل معانيه ومضامينه، ثم وإن حدث أن واحدا من أبنائنا قد أبدع فإنّ إبداعه أو ابتكاره سرعان ما يصادره منه الآخر، لأنّه يكون بلغته، فالعالم اليوم يقيس تطور اللغات بما تنتجه، فما ينتج باللغة الصينية يكون ملكا لأهل الصين حتى ولو كان المنتج أو المبدع أمريكيا، فما ينتجه مبدعونا –على قلتهم– تصادره اللغة الفرنسية، وهكذا نصير مصادرين حضاريا وإبداعيا، نزيد في رصيد لغة الآخر، ونزيد في نمائها وثرائها، كما ساهمنا في ثراء اقتصاده بسواعدنا ويصير هذا المبدع لا فرق بينه وبين العامل في الورشة، كلاهما يزيد في ثراء الآخر، فهل العامل الجزائري – المهاجر– الذي يشتغل في مصانع فرنسا تكون الآلات التي ينتجها في المصنع جزائرية أم فرنسية؟ طبعا فرنسية، نفس الشيء بالنسبة للمبدع أو المبتكر، فالمبدع أو المبتكر باللغة الفرنسية إذا ابتكر شيئا فهو يحسب للغة الفرنسية، لأنّ اللغة مؤسّسة فما ينتج بها يعتبر ملكا لها ولأنّ هذاالمنتوج يحمل نفسية وعقلية المجتمع اللغوي الفرنسي.

الحصيلة اللغوية وآثارها الايجابية على الفرد والمجتمع: وإذا كان هذا هو حال اللغة، وهذه هي أدوارها الفكرية، والإبداعية، والاجتماعية، والاقتصادية والحضارية، فإن هذا يجعلنا ندرك أهمية ثراء الحصيلة اللغوية لدى أفراد المجتمع اللغوي، إذ لا يشك أحد في أن ثراء الحصيلة اللغوية للفرد يجعله أكثر فهما لما يقرأ، أو يكتب، كما يجعل منه فردا مستوعبا، ثم منتجا، أي أنني أريد إنّ قول إنّ للحصيلة اللغوية عوامل إيجابية وهي81:

1– زيادة الخبرات والتجارب والمعارف والمهارات: ومن ثم زيادة المحصول الفكري والثقافي والفني للفرد، إذ باللغة (يفهم الإنسان ما ينطق ويستوعب ما يكتب وكلما زادت معرفته واتسعت حصيلته من مفرداتها ومعانيها زاد فهمه وعلمه واتسعت خبراته وتجاربه وانطلق فكره وخصب خياله... وازدادت قابليته على العطاء)82 أما جهل الإنسان بلغته، أو قلة محصوله من مفرداتها وصيغها، فإنّه

يقلل من مهارته، ويضعف قدرته على التواصل مع الآخرين، وضعف قدرته على التواصل معهم (يؤدّي إلى قلة ما يكتسبه منهم من تجارب ومعارف وخبرات ويقلل من قابليته على التعايش وعلى تبادل المشاعر والمنافع معهم وقد يؤدّي إلى اعتزالهم)83 وهو ما شهدناه في المثال الذي ضربناه سابقا لأحد وزرائنا للصحة سابقا.

2- انفتاح الشخصية على المحيط: ونمو غريزة الاجتماع لديها، وروح الألفة،والجرأة الأدبية والثقة بالنفس، ومعلوم أنّ الإنسان يصير جريئا إذا ازدادت معلوماته وصارت غزيرة، إذ هذه الغزارة المعرفية تمنحه الثقة التي تدفعه الى الجرأة الأدبية، وهي كلها تجعل منه عنصر اجتماعيا يتفاعل إيجابيا، فيشارك قومه حركيتهم الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والعلمية بوعي.

3- فهم التراث: إن ازدياد الثروة اللغوية عن طريق القراءة المكثفة للتراث العلمي، والأدبي تعين الفرد على فهم هذاالتراث، وهذا يعود بالفائدة عليه، إذ يصير إنسانا موصولا بتراث أمته غير مبتور84 أما إذا قلت ذخيرة الفرد من اللغة فإنّها قد (تؤدّي إلى جهله بمجريات الحياة وحضارة العصر أو أفضت إلى جهله بما تبدعه عقول قومه وما للغته من تراث فقاد ذلك إلى انفصاله عن هذا التراث وجهله بقيمته ومكانته ومن ثم التنكر له أو الانتقاص من شانه وتضاؤل روح الانتماء إليه والاعتزاز به وفي ذلك من الخطر مالا يستهان به إذ قد يؤول إلى الشعور بالدونية والضعة والى التنكر إلى مثل الأمة وقيمها الحضارية أو إلى اتهام هذه الأمة بالتخلف والضعف واتهام لغتها بالقصور والعجز وقد يقود ذلك إلى التشبث بقيم حضارية غربية ولغة أجنبية دخيلة على أنها البديل فيؤول الأمر بالتالي إلى ضياع الهوية وفقدان الذات)85 وهو أمر كما بينا سابقا نجده عند عدد غير قليل ممن كان هذا حاله، وصار هذا مآله، فكم هم الذين تنكروا للعربية ورموها بالضعف والقصور وعدم الأهلية، وكم هم الذين شعروا بالدونية لغويا وفكريا وحضاريا فاقترحوا علينا تقليد الآخر في لغته وفي قيمه ومثله وكم وكم...

4- المساعدة على الفهم والاستيعاب: وهذا أمر مؤكدأيضا، إذ اتساع حصيلة الفرد من الألفاظ والتراكيب اللغوية التي يكتسبها بفضل علاقته الاجتماعية الوثيقة الواسعة، يساعده على فهم وإدراك كثير مما يقرأ، وهذا أمر يدفعه إلى مزيد من القراءة، ومن ثم مزيد من الفهم والاستيعاب الأمرالذي يقوي، ويضاعف خبراته ومعارفه، وتجاربه، ومهاراته اللغوية، ومن ثم ازدياد نتاجه الأدبي والفكري والعلمي.

5- منح فرصة إمكانية تداول الألفاظ: وهذا أمر بين أيضا، إذ نتيجة الاتصال الواسع في شتى المجالات المعرفية، فإنّ المحصول اللفظي المتوافر يصبح أكثر تداولا، وهذا يؤدي الى تكاثر المفردات، والصيغ والأساليب المكتسبة،ويجعلها أكثر حضورا في الذهن، وأكثر جريانا على الألسنة والأقلام، الأمر الذي يجعل الفرد أكثر طلاقة، وسلاسة في التعبير، ومن ثم إبداعا، ومن ثم ترقى الملكة التبليغية -(la compétence cominicative) عنده فيصير يبلغ أفكاره بأقل جهد، وأسرع وقت وهو ما يعاني منه المواطن الجزائري حاليا، إذ نراه يتلعثم لسانه، وهو يصدر خليطا من أشباه الجمل حين يوضع موضعا يكون فيه أحد أقطاب دائرة التخاطب -التواصل-

6- تقوية التفاهم بين المتواصلين: إنّ نمو الثروة اللغوية وتراكمها نتيجة التواصل المكثف وفي شتى المجالات أمر يقوي التفاهم بين المتواصلين اذ يكتسب الفرد بنمو ثروته اللغوية قابلية على التكيّف والابداع كما يمتلك شخصية اجتماعية نفاذة تعمل على التاثير وسط المجتمع86 وغير هذا من العوامل الايجابية التي تنتج من نمو الحصيلة اللغوية عند الفرد والمجتمع. هذا وإذا ثبت لدينا أن لغتنا العربية مبعدة من المجالات الحياتية العديدة خاصة في المجالات التقنية والعلمية البحتة وثبت من ثم أيضا نقص الحصيلة اللغوية عند الجزائريين مع تبيين مدى أهمية هذه الثروة اللفظية والدور الأساس الذي تؤدّيه في عملية التواصل والترابط الاجتماعي وفاعليتها أيضا في اكتساب الخبرات وتنشيط عملية الإبداع والابتكار،

ومن ثمّ تحقيق التقدم الحضاري فإذا عرفنا كل ذلك وثبت عندنا هذا فإنّ المخـــاطر أو السلبيات التي تنجم عن نقص الحصيلة اللغوية وانحسارها أو انعـــدامها نجـــدها رهيبة نحاول أن نوجزها فيما يلي: على لسان الباحـــث احمـــد محمـــد المعتـــوق وهي87:

1- العزلة الاجتماعية: إنّ فقر المحصول اللغوي، أو انعدامه يجعل الإنســـان معزولا اجتماعيا، كما يذهب إليه أحمد محمد المعتوق (وربّما كانت رغبة ضعيف اللغة في الانعزال ناتجة أيضا عن قلقه وخوفه من الوقوع في الخطأ في التعبيـــر، أو التعثر في الفهم والتعرض لمواقف محرجة مع الآخـــر فـــالخوف كمـــا يـــرى النفسانيون يولد نوعا من التوتر ويؤدّي بالإنسان الى تجنّب المواقف التـــي يواجـــه فيها الموضوع الذي يخاف منه)88 ولنا أن نذكر في هذا الشأن أنّ وزيرا جزائريا للصحة سابقا -كما نقل عنه- أنّه كان يتحرج لقاء نظرائه العرب، فكان يقـــاطع اجتماع وزراء الصحة العرب، لأنه لا يحسن التواصل معهم باللغة العربيـــة، ولا باللغة الإنجليزية فهو مسجون في اللغة الفرنسية، ومتى وجد نفسه خارج المجتمع الناطق بالفرنسية شعر بأنّه في عزلة، حتى إنّه لينطبق عليه قول الشاعر العربـــي حين وقف على إيوان كسرى: إنّ الفتى العربية فيها غريب الوجه واليد واللســـان: وصدق من ثم من قال (إنّ ضعف القدرة على التفاعل والتفاهم والتكيف لدى الفرد الناتج عن عدم وجود الكفاءة اللغوية قد لايشجع الاخرين علـــى انشـــاء الـــروابط الوثيقة مع هذا الفرد حيث إنّ الإنسان في العادة مدفوع الى إنشاء الروابط مع مـــن يفهمه، وعلماء النفس يقولون إنّ العجز إذا كان ناتجا عن عدم وجود كفاية لغوية لا يستطيع إنشاء روابط مع من يفهمه ويفهمه ويبادله المشاعر والأفكار، ويشـــاركه المواقف، ويستطيع التواصل معه بنجاح، ثم ان العلاقة الوثيقة لا يمكن أن تتم من جانب واحد، وهكذا فإن ضعيف اللغة يمكن أن يصبح في عزلة إن لم يعتزل الناس عزلوه)89.

2-اضطراب الشخصية:إن عدم تمكن المواطن الجزائري من التعبير بلغة سليمة ينقل بها أفكاره، ويعبر بها عن مشاعره، ومن ثم يتواصل بمرونة مع الآخرين يجعل منه شخصية مضطربة، فقد يشكك في انتمائه، أهو ينتمي إلى هذه الأمّة أم إلى تلك، أهو ينتمي إلى هذه الأمّة التي لا يمكنه أن يتواصل بلغتها أمّ إلى الأمة الأخرى التي سجنته في لغتها؟

3-ضيق الأفق الثقافي والفكري: كنا قد انتهينا سابقا إلى أن اللغة بمفرداتها وتراكيبها هي وسيلة الإنسان في نقل الأفكار، والتعبير عن المشاعر، بل عرفنا عنها أنها هي التي تصنع نظرتنا للأشياء، وللعالم ونقل عن أوستين في كتابه كيف نصنع الاشياء بالكلمات (إنّ قول شيء ما يعني فعل شيء ما)90 ونقل عنه أيضا قوله (إنّ اللغة لاتكتفي بمجرد الوصف الكون والاخبار والتواصل، بل هي اداتنا لانجاز اعمال لاتتحقق الا بواسطة اللغة (الاعمال اللغوية) المؤثرة في المقام)91 ومن ثمّ فهي تتحكم في أفقنا الفكري والمعرفي والثقافي، ومن ثمّ فأي نقص في الحصيلة اللغوية يعود بالضرر على الفكر والإبداع، فالنقص في الحصيلة، أو في الثراء اللغوي هو نقص في الثراء الفكري على مستوى الفهم والاستيعاب أولا والإبداع والإنتاج ثانيا فمن كان قليل الفهم والاستيعاب كان قليل الإبداع والإنتاج92.

4-ضعف أو ضحالة النتاج الفكري والإبداعي: يرى الباحث أحمد محمد المعتوق93 أنّ الإبداع يعني الخلق والابتكار وهو عملية ذهنية تنتهي بالكشف والتوليد والاهتداء إلى ما هو جديد مثمر فالإبداع هو بناء أفكار جديدة، ومن شروطه وعي الإنسان بما حوله، والوعي ما يميزه أنه مرتبط باللغة، وإذا كان الفرد ضعيف الحصيلة اللغوية كان ضعيف الإبداع، أو كان ضحل الإبداع، وقد خلص الباحث إلى القول بأنه إذا كان الفراغ، أو الضعف الفكري والثقافي ناتجا عن الفقر في الحصيلة اللغوية فإن ضعف الإنتاج، أو ضحالته، أو عدمه يصبح عائدا أصلا إلى ضعف الحصيلة اللغوية، أو انعدامه،وقد نص علماء اللغة (أنّ

العقل رائد الروح والعلم رائد العقل والبيان ترجمان العلم، بل إنّ حياة العلم البيان)94 فكيف يبين عن أفكاره إن كانت الحصيلة اللغوية منعدمة تماما، كما هو حال من تعلم بلغة الآخر، ولم يكن له إلمام كاف بلغته الأم.

5-هجران اللغة واتهامها بالعجز: وهو أمر نجده مقررا في أذهان معظم الذين تعلموا باللغات الأجنبية وحدها – دون ان يكون لهم إلمام بلغتهم القومية- خاصة الفرنسية إذ نجدهم يشعرون بالدونية في لغتهم القومية، ويتهمونها بعدم القدرة، أو الأهلية على مواكبة العصر، كما يتهمون المتعلمين بها بالتخلف والانحطاط،والغريب أن هؤلاء هم الذين يسيطرون على دواليب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعلمية عندنا، فلسنا ندري لماذا لم ينهضوا بالبلاد والعباد؟ فهم الذين صنعوا هذا الواقع المؤلم، واقعا يؤكدون به رؤاهم هذه، اذ صنعوا واقعا لم يمكن للعربية أن تدخل المجالات الاقتصادية، والعلمية، لحكمهم بعدم أهليتها، أو صلاحيتها في هذه المجالات والذي نعلمه، ويعلمه العام والخاص أنّ بلادنا تعاني تخلفا رهيبا شاملا لمختلف مجالات الحياة مرفوقا بفساد إداري كبير، فساد جعل المنظمات الدولية تصنفنا بلدا على رأس المفسدين في الأرض، فإن كانت لهؤلا القوم كفاءة، فلماذا تقع الجزائر في هذا الموقع؟ أما نحن فنرى أن هذا الفساد كان يمكن تجنبه بنسبة كبيرة لو سمح للعربية أن تسير المؤسّسات الاقتصادية، والادارية أما وأن العربية لم تدخل هذه المؤسسات فكيف بهم يحكمون عليها بالتخلف وعدم الأهلية؟ ومع ذلك فنحن لا نسمح لأنفسنا وسم اللغة الفرنسية بالتخلّف، على الرغم مما تعانيه اليوم أمام اللغات الحية، لأنّنا ندرك لسانيا أنّه لايمكن الحكم على هذه اللغة بالتخلف وتلك بالتطور فكل لغة يمكن أن توسم بهاتين الصفتين معا، وأهلها هم الذين يجلبون إليها هذه الصفة أم تلك، ولكننا نرجع تخلفنا الى هؤلاء الذين يسيرون شؤوننا بلغة الآخر وحكموا على لغتنا بالتخلّف قبل أن يجربوها.

6-الازدواجية اللغوية: هذا أمر كنا قد أفصحنا عن أضراره ومخاطره سابقا، بل أرجعنا إليه معظم أسباب تخلفنا البلاغي والفكري والاجتماعي والاقتصادي

والحضاري، فهذه الازدواجية التي تطبع لغة المواطن الجزائري حين يتواصل اجتماعيا أو أكاديميا جعلت منه شخصا يعيش صراعا نفسيا، وثقافيا، وحضاريا، كما يقول الباحث احمد محمد المعتوق (لا يدري إلى أي شعب ينتمي ولا إلى أي ثقافة يرجع كما أنّه يكون حائرا بين قيم ثقافة اللغة العربية وقيم وثقافة اللغة الفرنسية يحتار في الصواب والخطأ والحلال والحرام والمقبول وغير المقبول والجائز وغير الجائز والحسن والقبيح فيصبح في ثنائية ثقافية وحضارية محيرة)95 ولعل ما يبرز هذه الحيرة هي أنك تسأل أحدهم ممن هذه حالته فتجده يقول لك إن العربية لغة القرآن وهي على العين والرأس أما التسيير وشؤون الحياة فهذا أمر يكون بالفرنسية وهو وضع يوجد عليه عدد غير قليل ممن كانت الفرنسية لغته الوحيدة، ولا نشك في أن هذا الواقع رسمته لغة التعليم الوحيدة التي هيمنت على فكره، وجعلت منه إنسانا يرى لغته القومية محصورة في الصلوات، وتلاوة كتاب الله، فهي لهذا خلقت، أما لغة الآخر، فهي لغة الحياة العلمية والاقتصادية والاجتماعية، فتكون هذه لغة الحياة الدنيا، وتلك لغة الحياة الآخرة، أو هذه لغة العلم والاقتصاد والتكنولوجيا، وتلك لغة الأدب والشعر–مع العلم أننا لا نبغض الشعر ولا نراه عيبا للغتنا– هذا هو الواقع الذي عليه لغة المواطن الجزائري وهو واقع ينبني على مخاطر جسيمة.

الخاتمة: وخلاصة ما يمكن قوله في ختام هذه الدراسة هي أنّ السياسة اللغوية المتبعة في الجزائر وجدتها الدراسة غير واعية، فهي سياسة بلا أهداف محددة وواضحة، فأقل ما يمكن أن توصف به أنها سياسة تضر بمصلحة الوطن والمواطن فإذا كان الباحثون يؤكدون ضرورة أن تكون هناك سياسة لغوية، أو تخطيط لغوي في جميع بلدان العالم، خاصة البلدان الثنائية اللغة أو متعددة اللغة إذ هذه تكون حاجتها الى هذه السياسة أشد، ومن ثم تحتاج بلادنا إلى رسم سياسة لغوية حكيمة تضمن وحدة الشعب، وتشبع تطلعات المجموعة الوطنية المتعددة اللغة، وإذا كان الباحثون يؤكدون أيضا ضرورة أن تكون السياسة المتبعة تهدف فيما تهدف إلى

تحديد اللغة الرسمية للدولة التي تستخدم في الإدارة والإعلام، تحدد لغة التعليم في مراحله المختلفة فإنّ هذا الأمر لم يكن واضحا في سياستنا اللغوية في الجزائر، إذ وزيادة على ما هو متبع في التعليم العالي، حيث يتمّ التعليم في العلوم الإنسانية باللغة العربية في حين يتمّ التعليم في العلوم التقنية باللغة الفرنسية فإنه قد ظهرت في السنوات الأخيرة مدارس خاصة تلقن أبناء الجزائر تعليما ابتدائيا باللغة الفرنسية وهو أمر خطير وإن حاولت إدارة وزارة التربية الوطنية منع هذه المدارس وإلزامها التعليم باللغة الوطنية فإننا لا نزال نسمع ببعض المدارس تواصل تعليمها متحدية الوزارة الوطنية والمجتمع الجزائري برمته، وهو أمر غريب لم يحدث في أي بلد في العالم، كما أن إدارتنا الرسمية لم تستخدم اللغة الوطنية في تعاملاتها الرسمية، بل تستخدم اللغة الفرنسية في تسيير شؤونها، وفي أحسن الأحوال تستخدم اللغتين معا حتى ليشعر المواطن وأنه مازال في إدارة كولونيالية، أي في عهد الكولون، أين كانت تستخدم اللغة الفرنسية ومعها العربية في بعض الأحيان لتبليغ الأهالي–كما كنا نسمى– ما هو مطلوب منهم فعله، كما لم تحدد السياسة اللغوية المتبعة في الجزائر الغرض من تعليم اللغات الأجنبية التي تعتبر لغات عالمية تدرس في المدارس الوطنية لأغراض واضحة، وهي خدمة اللغة الأم بالتفتح على العالم وما يمكن استخلاصه أيضا إن السياسة اللغوية في الجزائر تنبني على مخاطر جسيمة محدقة بالوطن والمواطن، وأهمّها تكريس اللامساواة الاقتصادية والاجتماعية بين المواطنين، من حيث ربط العمل باللغة، إذ بينا سابقا أنّ التوظيف في القطاع الاقتصادي الوطني مرهون بإجادة اللغة الفرنسية، إن إتقان الفرنسية يمثل علامة طبقية فارقة تميز من يمتلكها، وما يترتب عن ذلك من امتيازات، وهو تكريس واضح للامساواة الاجتماعية، والاقتصادية واللغوية والثقافية، ولو امتلك الجزائري لغة أجنبية أخرى غير الفرنسية، فإنها لم تمنحه الحظوة التي تمنحهاله الفرنسية، وعليه فنحن نجدد قولنا إنّ السياسة اللغوية في الجزائر تكرس مبدأ التمايز واللامساواة، واللاعدل واللاتكافؤ في الفرص بين

المواطنين، ومن ثم فهي خطر على الوطن والمواطن، إذ كرّست هذه الازدواجية الانحياز للغة العدو بالأمس كرست تشتيت فكر المواطنين الجزائريين، فلم تعد نظرتهم للكثير من المفاهيم الحساسة موحدة،كمفهوم الوطن، ومصالح الوطن العليا، وكمفهوم الأمة، ومفهوم الاستقلال والوطنية، وغيرها من المفاهيم التي يفترض أن تكون موحدة عند الجزائريين،فمفهوم الأمة مثلا عند النخبة الوطنية المتكونة باللغة الفرنسية يختلف عنه عند النخبة الوطنية المكونة باللغة العربية، ومفهوم الهوية الوطنية أيضاعند هذه النخبة يختلف عن النخبة الأخرى، إذ في الوقت الذي تعتبر النّخبة المكونة بالفرنسية اللغة الفرنسية مقوما من مقومات الأمّة الجزائرية يشكل هويتها،وأنها ميراث عظيم ورثته الجزائر المستقلة عن فرنسا المستعمرة، نجد النّخبة المعربة ترفض هذا الطرح، وترفض أن تكون اللغة الفرنسية مقوما من مقوّمات الأمّة الجزائرية يشكل هويتها، لأنّها ببساطة لغة فرضت على الشعب الجزائري بالحديد والنار، ولأنّها ليست اللغة الأصيلة لهذا الشعب، فهي ليست لغته الجينيتيكية وترى هذه الفئة –ورؤيتها هي الصائبة– في نظري وفي نظر أهل العلوم الانتروبولوجية عموما أن المجتمع لا ينهض من دون لغته القومية كما أن الاستقلال لم يكن كاملا ما لم تسترجع اللغة العربية مكانتها باعتبارها لغة رسمية للدولة الجزائرية، ونحن نرى أن مفهوم الاستقلال يختلف عند هذه الفئة عن الفئة الأخرى، أي عما هو في ذهن الفئة المفرنسة إذ ترى أن الاكتفاء بفهم الاستقلال على أنه إخراج المستعمر من أرضنا –استقلالا استيطانيا– غير مقبول، وهو فهم ساذج للاستقلال، فالاستقلال– في نظري –يعني فك الارتباط الكامل بالعدو، أي كل ماله علاقة بالمستعمر، أو بتعبير أوضح ننزع كل ما رغب العدو بالامس وصفنا به، وإلا نتهم بأننا حققنا له أمنيته التي كان يرغب في تحقيقها، ومن ثم نرى إبقاء لغته لغة تسيير، تسير بها شؤوننا يجعل استقلالنا ناقصا، أي منقوص السيادة، فالاستقلال الكامل – في نظرنا– يعني العودة بالجزائرمن حيث مقوماتها الشخصية إلى المقوّمات التي كانت عليها قبل الاحتلال،وهي العروبة والامازيغية والإسلام،

وربما شيء من التتريك لا غير، أما وأن الجزائر اليوم ترضى بأن تكون بلدا فرنكوفونيا يسيرفي حظيرة الفرنكفونية فإن استقلالنا غير كامل. ومما سبق نخلص إلى أن الواقع اللغوي الذي تتواجد عليه بلادنا لا يساعد البتة على التنمية الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والسياسية والحضارية للوطن والمواطن، ومن ثم فهو واقع غير طبيعي، وغير سليم، نعتبره واقعا انتقاليا إلا انه طال أمده، إذ كان يجب ألا يعمر هذه المدة الطويلة منذ الاستقلال وإلى الآن إلا أنّ مبرر تعميره يكمن في الوضعية اللغوية المأساوية التي كانت عليها البلاد أثناء الاستقلال، وعليه وإذا أردت أن أتجرد من عواطفي اتجاه هذا الوضع الذي توضع فيه اللغة الوطنية فإنّني أقول عنه إنّه واقع يشبه الواقع الذي كانت عليه هذه اللغة أثناء الاحتلال الفرنسي، أو يقترب منه إذ سمح المستعمر للمحاكم الأهلية استعمال اللغة العربية في تسيير الأحوال الشخصية،وكل ما يتعلق بالزواج والطلاق والميراث إذا أعتقد، وبالإضافة إلى ما سبق فإنه واقع يضر بالبنى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، والفكرية، والإبداعية والحضارية للمجتمع الجزائري، إنّه واقع يسعد المستعمر بالأمّ، إذ يعمل على تحقيق حلمه الذي كان يحلم به أثناء تواجده استيطانيا،هذا وإذا كانت الدراسات من عادتها أن تختتم بنتائج، فأنّني أود أن أختم دراستي المتواضعة هذه بمجموعة من الاقتراحات أراها كفيلة للخروج بسياسة لغوية، تمكن الجزائريين من الترقية التواصلية الابلاغية، وتبعدهم من التخلف البلاغي الرهيب الذي يتواجدون عليه، ومعها تنمية كافة المستويات التي شرحتها الدراسة وهذه الاقتراحات هي:

1-الاقتداء بالأمم العظيمة التي تحترم نفسها، وتحترم من ثم لغتها فنعظم لغتنا ونعطيها مكانتها التي تستحقها والتي وضعها فيها الدستور، ويكون هذا الاقتداء برسم مخططات أو سياسات لغوية حكيمة، تمكن الجزائري في ظرف وجيز من النهوض تواصليا وبلاغيا ومن ثم اجتماعيا، واقتصاديا، وفكريا، وحضاريا، ونقترح هنا وقد حسمت الجزائر في جميع دساتيرها أن اللغة الرسمية لها هي

العربية ولنا في هذه الامم قدوة فقد صرح الراهب الفرنسي غريغوار يوما أمام أعضاء الجمعية الفرنسية قائلا: (إنّ مبدأ المساواة الذي أقرته الثورة يقضي بفتح أبواب التوظف امام جميع المواطنين ولكن تسليم زمام الإدارة إلى أشخاص لا يحسنون اللغة القومية يؤدّي إلى محاذير كبيرة وام ترك هؤلاء خارج الحكم والإدارة فيخالف مبدأ المساواة فيترتب على الثورة والحالة هذه أن تعالج هذه المشكلة معالجة جدية وذلك بمحاربة اللهجات المحلية ونشر اللغة الافرنسية الفصيحة بين جميع المواطنين)96 فأين نحن من هذا؟ فلماذا لا يكون هذا العمل ميراثا نرثه عن فرنسا؟ أم نرث عنها لغتها وفقط لماذا لا نرث عنها فكرها في تمجيد قوميتها وصناعتها أم أنّ مورثنا لا يورثنا غير ما يحب هو توريثه لنا؟ الذي نعلمه أنّ الحي يرث الميت في كلّ ممتلكاته فلماذا لم نرث نحن عن فرنسا صناعتها وإدارتها المحكمة وغيرتها على قوميتها؟

2-نقترح أن يتم تعميم استعمالها في شتى المجالات الحياتية، والقطاعية وقد بينا في صلب الدراسة أنّ الباحثين المهتمين بالشأن اللغوي ينصون على أنه يجب على الأمة –أية أمة– إذا حسمت في تبني لغة معينة من لغاتها الوطنية لغة وطنية رسمية،يجب عليها أن تعمل على تعميمها، وهو الأمر الذي – بكلّ أسف– لم يحدث عندنا،إذ على الرغم من أن الحسم قد تم دستوريا إلا أنّ الواقع الاستعمالي التعميمي لم يحدث، إذ كلما حاول المجتمع تعميم استعمال اللغة الوطنية اصطدم بمعوقات ظاهرة وخفية تمنعه من استكمال بناء السيادة الوطنية التي نرى أنها تبقى سيادة ناقصة ما لم يتم تعميم استعمال لغتنا الوطنية، وقد شرحنا الأضرار التي تلحق بالأمة والمواطنين من جراء سيطرة لغة المستعمر بالأمس على دواليب الحياة.

3-نقترح في هذا الشأن أيضا تعميم استعمال اللغة العربية في قطاعات البريد وقطاع البنوك، وشركات الضمان، والتأمين، إذ ليس هناك صعوبات تقنية تواجه هذه القطاعات في استعمال اللغة العربية، فهي مجرد أرقام حسابية تملأ استمارات

إدارية، مع تقريرات إدارية لا تتطلّب لغة علمية ذات مصطلحات تقنية عالية، وقد لاحظنا إخواننا في المشرق العربي خلو وثائقهم الإدارية تماما من الحرف الانجليزي أو الفرنسي، وهم يسيرون قطاعاتهم المالية باللغة العربية وحدها، ولا نعتقد أنّه تواجههم صعوبات في هذا الشأن، كما لا نعتقد أن تسييرنا لشؤوننا المالية الذي يتم بالفرنسية يجعلنا أكفأ منهم، ويجعل إدارتنا خلوا من المشاكل الإدارية الموجودة في دول العالم الثالث، والناتجة أصلا عن التخلّف وليس اللغة.

4-نقترح أن يتمّ الشروع في تلقين العلوم التقنية باللغة العربية في الجامعات، ولو بداية تجريبية، خاصة ونحن نعلم أنّ الكثير من أساتذة الجامعة عندنا اليوم هم شباب تخرّجوا من المدرسة الأساسية ويتقنون العربية ولا ينقصهم إلا الأمر بالتنفيذ، فإذا كان المناهضون لتعميم استعمال العربية في السابق يتحججون بنقص الأساتذة الذين يتقنون العربية فإن هذه الحجة اليوم لا وجود لها إذ صار اليوم عندنا أطباء وصيادلة، وهم الذين تلقوا تعليما أساسيا يتحكّمون في العربية تحكّما مقبولا يمكنهم -ولا شك- من التعبير بها تعبيرا سليما، ومن ثم يتواصلون بها مع مجتمعهم دون أي حرج، ثم بعد ذلك نعممها على سائر القطاعات الأخرى.

5-نقترح في تعليم اللغات الأجنبية أن تترك الفرصة للمواطنين الجزائريين في اختيار اللغة الأجنبية الأولى، لأبنائهم، فلا تفرض عليهم اللغة الفرنسية لغة أجنبية أولى كماهو سائد حاليا، إذ هذا الفرض هو الذي مكن للفرنسية أن تبقى هي اللغة السيدة في الجزائر هذه المدة الطويلة بعد الاستقلال، وإذا كان لهذا أسبابه بعد الاستقلال -إذ كانت البلاد مهتمة بالتنمية الشاملة بعد خروجها من حرب مدمرة- فلم تهتم بعامل اللغة – فإنّنا نرى أنّ هذه الأسباب اليوم قد زالت إذ عدد الذين لا يعرفون العربية من الموظفين صارااليوم عدما أو قريبا من العدم فلماذا تبقى الفرنسية هي اللغة الأولى إذا؟

6-نقترح أن تضمّ السياسة اللغوية الوطنية تحديد أهداف واضحة لتدريس اللغات الأجنبية كما هو معمول به في كلّ الأمم التي تحترم نفسها، إذ ترسم هذه الأمم

أهدافا واضحة للغات الأجنبية، تحقق بها أغراضا معينة، تخص مصالحها الوطنية الاقتصادية والتجارية والعلمية والفكرية والثقافية، وحتى العسكرية فتكون اللغات الأجنبية رافدا للغة الأم في حين عندنا في الجزائر تجعل اللغة الفرنسية منافسا للغة الوطنية(اللغة الأم) مع العلم أن هذا التنافس بين اللغتين محصور في العلوم الإنسانية أما العلوم التقنية فالمجال متروك فيها للغة الفرنسية وحدها تفعل بالعقلية العلمية الجزائرية ما يحلو لها، فهي السيدة في هذه الساحة العلمية لهذا نقترح أن تحدد أهداف واضحة للغة الأجنبية المدرسة،وأن تكون لأغراض علمية أو اقتصادية، فلا تكون أهدافها ذات أغراض إديولوجية، فكرية، سياسية، فلسفية، فنحن نريد أن نصنع جيلا يفكر ويتفلسف ويحب ويعشق ويكره ويبغض بلغته، لا بلغة مستعارة من مستعمرنا بالأمس استيطانا، واليوم لغة، وثقافة، ونرى كما يرى كثيرون (إنّ اللغة الوطنية–العربية– والامازيعية– يفترض أن تكون اللغة الاولى في كل المجالات (وأن يتعامل مع الفرنسية والانجليزية كلغة معرفة أجنبية وهذا مايمارسه الفرنسيون والأنجليز والأمريكيون مع لغاتهم الوطنية)97 إنّ تفضيل الفرنسية على العربية –وزيادة على الأضرار السابقة– يعدّ– في نظرنا– اعترافا بتفوق جينتكي بيولوجي لأهل هذه اللغة، وهو أمر خطير، يجعل شعبنا يشعر دائما بالدونية أمام الآخر، وإذا شعر بالدونية فإنه لن يتمكن من منافسته بل يبقى دائما يسير في ظله98 ومن ثم صار واجبا علينا أن نتبنى سياسة لغوية تعامل فيها اللغة الفرنسية كلغة أجنبية ذات فائدة معرفية، فلا نمنحها امتيازات على حساب اللغات الأخرى99 كما هو حاصل الآن إذ تحظى الفرنسية بمعاملة تفضيلية عندنا على جميع اللغات بما فيها اللغة الوطنية.

7–نقترح أن تكون السياسة اللغوية، أو التخطيط اللغوي محدد الزمن والأهداف وأن يخضع للتقويم في كل مرحلة من مراحله لتدارك النقائص.لأن التقويم هو لب عمليات التخطيط اللغوي100 اذ تكمن أهميته في أنه يوجه جهود التخطيط الوجهة الصحيحة101 وفي ختام هذه الاقتراحات نود أن نشير بالقول الوجيز إلى أن

التخطيط اللغوي أمر لامفر منه إذ (اصبحت السياسة اللغوية من ملامح الدولة المعاصرة)102 ومصطلحا السياسة اللغوية أو التخطيط اللغوي صارا متداولين في علم اللغة الاجتماعي، أو اللسانيات الاجتماعية103 ونحمل المجتمع مسؤولية التخطيط اللغوي من خلال تعريفه، إذ تعرف الباحثة (Eastman) كما ينقل عنها سعد بن هادي القحطاني التخطيط اللغوي–(la planification linguistique) بأنّه (هو القرارالذي يتخذه مجتمع ما لتحقيق اهداف واغراض تتعلق باللغة التي يستخدمها ذلك المجتمع ويحقق مثل ذلك القرار سواء كان يتعلق بحماية اللغة من المفردات الواردة،أو إصلاحها أو انعاشها أو تحديثها دعم عرى التواصل بين الامم التي تجمعها لغة واحدة ويعزز الاحساس بالوحدة)104، هذه هي الاقتراحات التي نقترحها للخروج من الواقع اللغوي المؤلم الذي تتواجد عليه بلادنا، وهو الواقع الذي عبر فخامة رئيس الجمهورية أكثر من مرة عن تذمره منه، على أن قائمة الاقتراحات هذه تبقى مفتوحة للباحثين للمساهمة في تحسين الواقع اللغوي.

وخلاصة الخلاصات في هذه المقالة هي أن دراستنا التي حاولت تشخيص الواقع اللغوي الجزائري – ومن خلال المساحة المخصصة لها– وجدت هذا الواقع اللغوي مؤلما واقع أقلّ ما يوصف به أنّه يكرس التمايز الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي واللغوي والفكري بين المواطنين، كما يكرس النظرة الدونية التي كانت سائدة في الفترة الاستعمارية لكلّ ما هو عربي ومنه اللغة، ومن ثم وصفت الدراسة– وحق لها ذلك– هذا الواقع بأنه واقع ينبني على مخاطر بليغة وأضرار جسيمة شخصتها الدراسة تحت عناوين الإعاقة الاتّصالية التبليغية والإعاقة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والإبداعية والحضارية، وخلصت الدراسة من ثم إلى نتيجة مفادها أنّ إعاقتنا التنموية الشاملة تعود في بعض أساسياتها إلى السياسة اللغوية المتبعة، وعليه تقدمت الدراسة بجملة من الاقتراحات رأتها كفيلة للنهوض بالواقع اللغوي ببلادنا ومن ثم الواقع الاجتماعي فالدراسة، وهي تقدم نفسها للملتقى وتعرض أفكارها على الباحث المتخصص والقارئ الهاوي، رأت أن تختم نفسها

بسؤالين: أما الاول منهما فقد اجتررته، إذ سبقني الى طرحه الباحثون المهتمون بالشأن اللغوي، ومع ذلك أصر على إعادة طرحه في ختام هذه الدراسة، ومفاده ماهي وظيفة اللغة؟ وقد تكفل بالاجابة عنه الباحثان آن رويول وجاك موشلار فقالا (تمثل وظيفة اللغة موضوعا يثير دائما نقاشات جادة فالبعض يعتقد أنّ اللغة أولا وقبل كل شيء وظيفة اجتماعية ففي رأيهم تستمعل اللغة لدعم العلاقات داخل المجموعة البشرية، ويعتقدالبعض الآخر أن لها أولا وقبل كل شيء وظيفة معرفية ففي رأيهم تستعمل اللغة لتمثيل معلومات وخزنها وإبلاغها)105 ثم أبرزالباحثان رأيهما الشخصي المستخلص من دراستهما فقالا (فإنّه بامكاننا أن نستخلص من هذه الفقرة أنّ اللغة أولا وقبل كل شيء تعتبر على الأرجح أداة لتمثيل المعرفة والمعلومة وإبلاغها)106 ليخلصا في الأخير إلى أنّ (اللغة هي بمثابة الجوهر الذي يمكن للأفكار التي يتسنى نقلها مباشرة لأنها مجردة أن تصبح من خلاله قابلة للفعل بواسطة الجمل (وهي مادية) التي تعبر عنها)107 أما السوال الثاني الذي أنتظر الأجوبة عنه من المواطنين الجزائريين، لأنّه يخصّهم وحدهم وهم يستشعرون الخطر المحدق بلغتهم، وهويتهم، فمفاده بماذا كان يدرس أبناء الجزائر الطب والصيدلة والهندسة بمختلف فروعها، وبماذا كان الجزائريون يسيرون شؤونهم الإدارية في كافة مجالاتهم الحياتية لو لم تستعمرهم فرنسا؟

الهوامش:

1-ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح: محمد علي النجار،ا لمكتبة العلمية د ت ج 1 ص 33.

2-فريدينان ده سوسير، محاضرات في الالسنية العامة تر يوسف غازي وحميد النصر منشورات المؤسّسة الجزائرية للطباعة سنة 1986م ص 27.

3- كل الدراسات اللسانية تؤكد أنّ الوظيفة الأساسية للغة هي الاتّصال، ينظر في ذلك مثلا كتاب اللغة والاقتصاد للكاتب فلويان كولماس، كتاب محاضرت في اللسانيات العامة لدوسسير، وغيرهما من الكتب التي تهتم بالشأن اللغوي.

4-منير الحافظ، الوعي اللغوي الجمالي في فلسفة اللغة، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع سورية، ط1 سنة 2005 م ص63.

5-المرجع نفسه ص14.

6-المرجع نفسه ص15.

7-المرجع نفسه ص26.

8-المرجع نفسه ص19.

9-المرجع نفسه ص 27.

10-المرجع نفسه ص 27.

11-المرجع نفسه ص 17.

12- سورة الروم آية22.

13-د محمود أحمد السيد شؤون لغوية، دار الفكر بيروت ودمشق، ط 1 سنة 1989م ص7.

14-المرجع نفسه ص 7و8.

15-منير الحافظ المرجع السابق ص 24.

16-المرجع نفسه ص 24.

17-المرجع نفسه ص 17 و18.

18–المرجع نفسه ص 60.

19–المرجع نفسه ص 61.

20–المرجع نفسه ص 62.

21–المرجع نفسه ص 63.

22– فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد، تر: د أحمد عوض مراجعة عبد السلام رضوان، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب الكويت سنة 2001 م ص 122.

23– د محمود أحمد السيد، المرجع السابق ص 56.

24– فلوريان كولماس اللغة والاقتصاد ص161.

25– التخطيط اللغوي ومكانته في تدبير الشأن اللغوي، تر: فضل الله كسيكس وزهير سوكاح، الجمعية الدولية للمترجمين العرب. تاريخ 20–11–2007 wata وهو ترجمة للفصل الواحد والستين من النسخة الألمانية لموسوعة كامبريدج للغة.

26–المرجع نفسه.

27–المرجع نفسه.

28–المرجع نفسه.

29–المرجع نفسه.

30–المرجع نفسه.

31– د عبد الهادي محرف "الازدواجية اللسانية في المغرب" مقال منشور على الشابكة.

32–المرجع نفسه.

33– عبد الرحمن الحاج صالح جريدة الشروق اليومي عدد 2341 تاريخ 1 جويلية 2008م.

34–فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد ص136.

35– المرجع نفسه ص 171.

36- المرجع نفسه ص 164.

37- المرجع نفسه ص 166.

38- المرجع نفسه ص 169.

39- المرجع نفسه ص 197.

40-د منير الحافظ،مرجع سابق ص 169.

41-المرجع نفسه ص 70.

42-المرجع نفسه ص 24.

43- د محي الدين صابر، قضايا الثقافة العربية المعاصرة، الدار العربية للكتاب الجماهيرية العربية الليبية د ت ص 22.

44- عبد الرحمن الحاج صالح، جريدة الشروق اليومي، عدد 2341.

45- د نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقلفية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب الكويت سنة 1978 م ص 219.

46-ا لمرجع نفسه ص 221.

47- المرجع نفسه ص 218.

48- د جمعة سيد يوسف، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت: 1990م ص 156.

49-المرجع نفسه ص 144.

50-د أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية-أهميتها مصادرها وسائل تنميتها، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب الكويت: 1996 م ص 36.

51-المرجع نفسه ص 37.

52-المرجع نفسه ص 37.

53- البروفيسور روي سي هجمان، اللغة والحياة والطبيعة البشرية تر وتقديم: داود حلمي أحمد السيد، عالم الكتب القاهرة، ط 2 سنة 2000م ص 143.

54- المرجع نفسه ص 144.

55- فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد ص 235.

56- المرجع نفسه ص 235.

57-وليد العناتي، مستقبل العربية في ظل العولمة مقال منشور في الموقع http//www.arabiyah.ws.

58- د منير الحافظ، مرجع سابق ص 27.

59- المرجع نفسه ص 63.

60- ينظر الحديث الشريف في كتاب الاصالة، ملتقى الفكر الاسلامي الجزائر سنة 1982م 1402ه ج3 ص 13.

61- سورة الممتحنة آية 8.

62- سورة الاسراء آية 70.

63- البروفيسور روي سي هجمان المرجع السابق ص 177.

64- المرجع نفسه ص 105.

65- المرجع نفسه ص 110.

66- المرجع نفسه ص 74.

67- المرجع نفسه ص 74.

68- المرجع نفسه ص 77.

69- المرجع نفسه ص 77.

70- المرجع نفسه ص 41.

71- أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية، ص 41.

72- عبد الهادي محرف الازدواجية اللسانية في المغرب.

73- منير الحافظ، مرجع سابق ص 58.

74- محمود أحمد السيد، مرجع سابق ص 157.

75- المرجع نفسه ص 157.

76- د جمعة سيد يوسف،سكولوجية اللغة ص 153.

77- ينظر القول، في كتاب رحاب اللغة العربية للدكتور عبد الجليل مرتـــاض ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر: 2004 م ص 37.

78- ينظر قول السيد (whorf) في المرجع السابق ص 36.

79- د وليد العناني، مستقبل اللغة العربية في ظل العولمة.

80 ــ د عز الدين المناصرة، الهويات والتعددية اللغوية، دار مجدولاي للنشـــر والتوزيع الاردن، ط1 سنة 2004م ص169.

81- د أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية ص 59.

82- المرجع نفسه ص 309.

83- المرجع نفسه ص 309.

84- المرجع نفسه ص 61.

85- المرجع نفسه ص 310.

86- المرجع نفسه ص 62.

87- المرجع نفسه ص 69.

88 ــ المرجع نفسه ص 69.

89- المرجع نفسه ص 69.

90- آن ريول،جاك موشلار، التداولية اليوم،علم جديد فـــي التواصـــل، تـــر: د يوسف الدين دغفوش، ود محمد الشيباني، المنظّمة العربية للترجمة، دار الطليعـــة للطباعة والنشر بيروت ط1 سنة 2003م ص 267.

91- المرجع نفسه ص 264.

92- داحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية ص 71.

93- المرجع نفسه ص 74.

94- المرجع نفسه ص 75.

95- المرجع نفسه ص 79.

96- د مازن المبارك، نحو وعي لغوي،مؤسسة الرسالة الطبعة الثانيـــة، جديـــد مزيدة ومنقحة، سنة 1985 م ص 18.

97- د عز الدين المناصرة، المرجع السابق ص332.

98- المرجع نفسه ص304.

99- المرجع نفسه ص 305.

100- د سعد بن هادي القحطاني، كتاب التعريب ونظرة التخطيط اللغوي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1 سنة 2002م ص25.

101-المرجع نفسه 25.

102- د محمود فهمي حجازي، اتجاهـــات السياســـة اللغويـــة مجلـــة المجمـــع الجزائري للغة العربية، العدد 8 ديسمبر 2008م ص 31.

103- المرجع نفسه ص 33.

104- عز الدين المناصرة ص 24.

105- آن ريول، وموشلار، التداولية اليوم، ص 14.

106- المرجع نفسه ص 19.

107- المرجع نفسه ص 19.